الجمهورية الجزائـــــرية الديمـقراطية الشعبيــة

وزارة التعليـم العــالي و البحـث العلمــي

جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم

كلية العلوم الإجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة وتعليميتها الموسومة بـ:

الجدل عند فريدريك هيجل

من إعداد الطالبتين:

- بوشافة زكية.
- ميموني فاطمة.

تحت إشراف الأستاذ:

د.عمارة الناصر.

السنة الجامعية: 2014 . 2015.

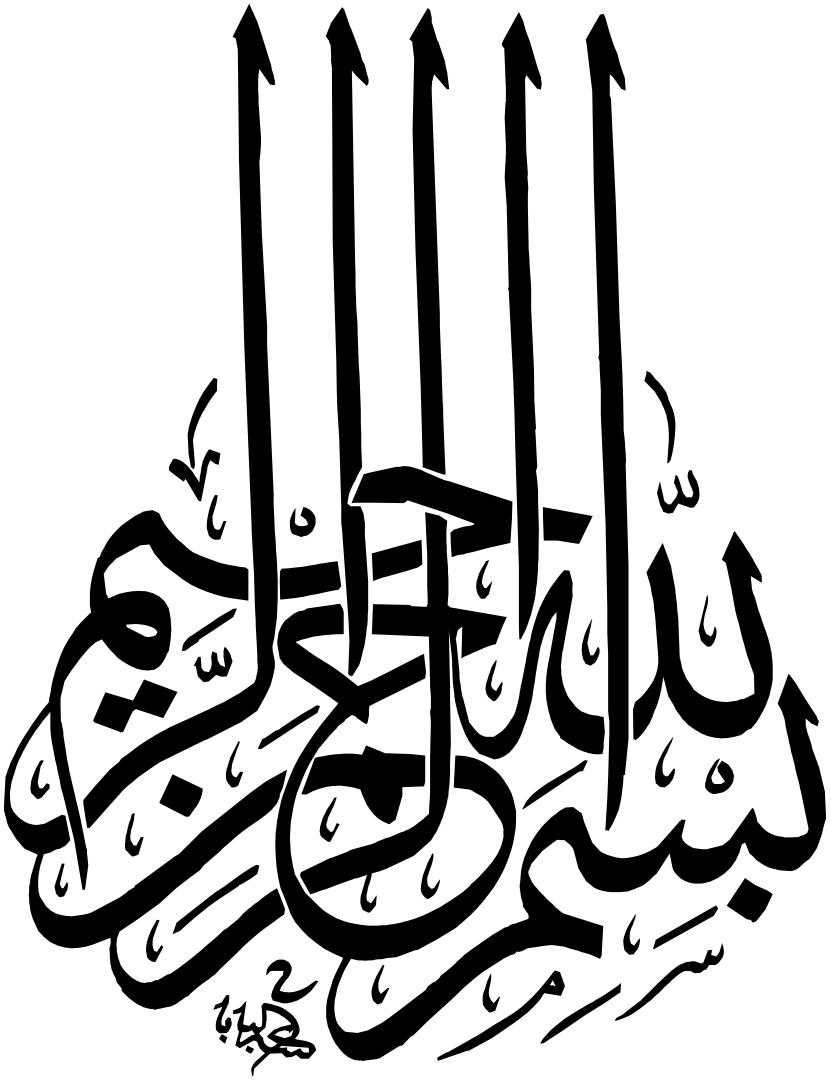
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمة سلطانه، أحمده تعالى على ما أولاني من عظيم نعمه، وأسبغ علي من واسع فضله وكرمه، والحمد لله والشكر لله أولاً وأخيراً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وشكر متميز لمن غمرنا بعنايته وأسدل علينا من سُحب جوده وكرمه شكرً من أعماق القلب للدكتور الفاضل:" عمارة الناصر "الذي نشأ هذا البحث تحت رعايته وسقاه بفيض خبرته ودرايته نسأل الله أن يجزيه عنّا خير الجزاء وأن يبارك له في عمره ووقته وماله وولده.

كما نتقدم بوافر الشكر وعظيم الإمتنان إلى كل من قدّم لنا يد المساعدة، وأعاننا على إنجاز هذه الرسالة، ولا أجد لهم مكافأة إلا الدعاء لهم بأن يوفقهم الله لما فيه الخير والصلاح.

زكـية - فاطـمة

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى

من قال فيهما عز وجل في قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما

وقل لهما قولا كريما﴾.

وإلى كل العائلة خاصة إخوتي و إلى كل أصدقائي وصديقاتي

خاصة صديقتا الثانوية حورية وحكيمة وإلى رفيق دربي "جمال" وإلى زميلتي في هذا البحث فاطمة

وإلى كل من شارك من قريب أو من بعيد في

إنجاح هذا العمل البسيط. وكل طلبة

دفعة جوان 2015.

زكية

إهداء

إلى من لهما الحق في أن تهدى لهما الحق في أن تهدى لهما أروع الهدايا،

إلى من كان لهما الفضل في وجودي إلى ذلك العطاء المتدفق

إلى الذين حلما طويلا بنجاحي، وها أنا أحقق ذلك الحلم بألف

بألف أسلوب.....إلى والدي وإخوتي.

وإلى كل عائلتي، وإلى كل من يعرفني.

ولا أنسى رفيقتي في هذا البحث زكية.

إلى كل الأمة التي أرجوا أن تكون أمة فاعلة

في التاريخ لا على هامشه.

فاطمة ميموني.

المقدمة

لا شك أن موضوع الديالكتيك قد مرّ بعدة تغيرات و تحولات، وذلك عائد، إلى أنه قد أثار اهتمام المشتغلين باللغة عامة والمشتغلين بالفكر الفلسفي الجدلي خاصة، وعلى هذا فإن الديالكتيك هو موضوع يجمع بين صفتين متباينتين؛ هو قديم وجديد في الآن نفسه، شهد على يد المهتمين به تطورات لا يمكن أن يستهان بها.

أمّا عن القدم فيظهر في إهتمام المفكرين عموما و الفلاسفة خصوصا بهذا المفهوم وهذا ما نجده لدى الإيليين و كذلك هيراقليطس، أمّا عن الحداثة فهي تتمثل في اهتمام باحثين متخصصين بهذا الموضوع معاصرين لهيجل وحتى من بعده، إذ تمخّض عن هذا الإهتمام تلك التطورات المنهجية التي طالت الجدل بصفة خاصة.

يشهد تاريخ الفكر الفلسفي، أن تلك الإبداعات الفكرية في غالب الأحيان عبارة عن تضارب للآراء و الاختلافات الممنهجة، كان نتيجتها ظهور مناهج فلسفية تقوم أحياناً على العقل وأحياناً على الحس وأحياناً أخرى عل الحس والعقل معاً، ومن بين أهم المفكرين الذين بنوْ منهجهم الفلسفي على العقل، المفكر و الفيلسوف الألماني،" فريدريك هيجل" الذي يعتبر هو الآخر مفكر من عمالقة المفكرين الذين أسهموا بصفة كبيرة، في تغير مجرى تاريخ الفكر البشري بفضل منهجه ونظريته في "الديالكتيك"، والذي اخترناه نموذجاً وموضوعاً لبحثنا هذا.

كان عمل "هيجل" في موضوع الجدل عملاً ضخماً وإن كانت بعض أفكاره هي بمثابة متابعة للآراء التي سبقته وتطويراً لها، إلا أن هذه الأفكار قد جعلته يكتب اسمه بأحرف من ذهب على تاريخ الفكر والفلسفة بصفة خاصة، فهو ورغم كل شيء من" العظماء" الذي ساهموا بشكل كبير في رقي الفكر بكل مجالاته وجوانبه في تلك الفترة وحتى في الفترات التي تلته.

أمّا بالنسبة للإشكالية التي تم بناء البحث على مناكبِها فهي كالتالي:

مـا طبيـــعة الجدل عند هيجـل؟ و ماهي مرجعياته و أصوله؟ ماهي ميكانيزماته وقواعده الأساسية؟ .

أسئلة كثيرة تطرح نفسها في هذا الموضوع المتشعب والمتفرع، ولكن اكتفينا في بحثنا بالقدر الذي نستطيع من خلاله إعطاء تقريب لمفهوم الديالكتيك وذلك نظراً لشساعة الموضوع، فقد إرتاينا التطرق بصفة وجيزة، إلى أهم الفلاسفة الذين اهتّموا بهذا المفهوم، والذين أخذ عنهم وتأثر بفكرهم فيلسوف بحثنا "فريدريك هيجل" وللإجابة عن هذه الإشكاليات قسمنا هذه الدراسة إلى فصلين، وكل فصل إلى ثلاث مباحث، ومنه يمكن إيجاز مضامين هذه الفصول والمباحث إلى ما يلي :

الفصل الأول: " الجدل الهيجلي من الماهية إلى التأصيل"، تطرقنا في هذا الفصل إلى مصادر الجدل الهيجيلي، وإلى مفهوم هذا المصطلح قبل هيجل منذ الفترة اليونانية بعصريها(الهليني والهيلينستي)، إلى الفترة الحديثة التي عرفت فلاسفة عقلانيين، ومنهم من كان من معاصرى هيجل.

فا**لمبحث الأول:** كان بعنوان"ماهية الديالـكتيك"، وفيه قمنا بتوضيح المفهوم الرئيسي الذي ترتكز عليه الدراسة ألا وهو **"الديالكتيك"** وقمنا بإعطائه المفهوم اللغوي و الاصطلاحي، كما حاولنا البحث عن أصل كلمة "الجدل".

المبحث الثاني: المصدر اليوناني للجدل لدى هيجل، وفيه تناولنا بعض الفلاسفة في الفترة اليونانية منذ الإيلين حتى سقراط و الذين سبقوا هيجل في الإهتمام بهذا الموضوع حيث كان عنوان هذا المبحث"المصدر اليوناني لهيجل في الجدل".

المبحث الثالث: في هذا المبحث حاولنا أن نجمع بعض النقاط أو المفاهيم الجدلية التي أعجب بها هيجل والتي كانت واردة لدى فلاسفة الفترة الحديثة خاصة عند كل من-غ شيلنج ،اسبينوزا، وكانط، وفيتشه، كان عنوان هذا المبحث "مصادر هيجل من الفلسفة الحديثة"

الفصل الثاني: والمعنون ب"الفكرة المنطقية الجدلية عند هيجل" حيث قسمنا الفصل إلى ثلاث مباحث، أمّا **المبحث الأول:** فقد كان عنوانه : "المنطق الديالكتيكي عند هيجل"، تناولنا في هذا المبحث العلاقة بين الجدل و المنطق عند هيجل، وكيف شابه بينهما وإلى أي مدى أهتم هيجل بالمنطق عل أساس أنه قريب من الجدل أما **المبحث الثاني:** فكان عنوانه" فكرة التناقض وصراع الأضداد لدى هيجل"، وقد حولنا في هذا المبحث التطرق إلى قوانين الجدل الهجيلي و كذلك تميز نسقه الجدلي، من خلال فكرتي التناقض وصراع الأضداد، اللّتان تعتبران نقطتان رئيستان في المثلث الهيجيلي، أما فيما يخص **المبحث الثالث:** فقد كان مبحثا هذا، ذا مهمتين، إذ تطرقنا إلى الجدل بعد هيجل وأهم المنعرجات التي عرفها خلال هذه الفترة، على يد تلامذته ومعاصريه، ثم تناولنا أهم الإنتقادات التي تعرض لها الجدل الديالكتيكي من بعده.

تعرضنا في موضوع هذا البحث إلى إيجاز حول العديد من الفلاسفة و المفكرين الذين تناولوا بالاهتمام موضوع الديالكتيك قبل و بعد هيجل. غير أنه لا يمكننا، القول أن هذه الدراسة المتواضعة، قد وصلنا بها إلى نقطة الكمال. ولم تعرف شيئا من القصور، بل لابد أنها لم تسلم من النقص وذلك راجع إلى تلك الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث، و المتمثلة في نقص المصادر التي تعود لهيجل، و صعوبة ترجمتها، وكذلك نقص المراجع التي تتكلم عن الديالكتيك بصفة مباشرة، بالإضافة إلى ذلك عائق الوقت، الذي وقف أمام ترحالنا للبحث في رفوف مكتبات أخرى، خارج الولاية، ولأن معظم المكتبات تفتقر لكتب تعالج هذا الموضوع بالذات. وغيرها من الصعوبات الأخرى التي واجهتنا في إعداد هذا البحث. أما بالنسبة للمنهج المعتمد في إعداد هذا البحث فهو المنهج التحليلي الذي رافقناه في معظم الفصول، والمباحث.

أما عن الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، فأهمها أن الطريقة الجدلية تعتبر من أهم الطرائق، في تحليل المقالة الفلسفية وبالتالي أردنا البحث عن سر ذلك التناسق والتسلسل المعرفي القائم على تضارب الأراء، ثم البحث عن الجوانب التركيبية بين الرأيين، فوقعنا في يد الجدل الهيجيلي، وكذلك نحن من معجبي فلسفة هيجل، التي

عرف على يدها تاريخ الفكر البشري تطورات ومنعرجات مسّت الحياة الاجتماعية، و الاقتصادية، و السياسية، وبالتالي أهتّم بها حتى الإنسان العادي، لأنها في معظم الحيان حملت ما يخصه واهتّمت بكل ما يتعلق به وبحياته اليومية كذلك مدى أهمية هذا الموضوع في الحياة الفكرية الفلسفية ، وما نأمله من وراء بحثنا هذا هو اكتساب خبرات جديدة متمثلة في تجربة التحرير و إعداد الدراسات والبحوث الفلسفية ، يشرف عليها أساتذتنا وذلك بهدف تطوير معارفنا الفكرية، كما نأمل أن يسجل لنا حقل المعرفة مساهمتنا المتواضعة هذه رغم بساطتها.

الفصل الأول:

الجدل الهيجيلي من الماهية إلى التأصيل.

المبحث الأول: ماهية الديالكتيك.

المبحث الثاني: المصدر اليوناني للجدل لدى هيجل.

المبحث الثالث: مصادر هيجل من الفلسفة الحديثة.

تـوطئـــة:

"الجدل هو أسلوب للمناقشة والتعليم، وقد نشأ مصطلح الجدل عن الأسلوب اليوناني في فن الحوار...يقال إن الجدل هو بمثابة منهج للحوار يصل في بعض الأحيان إلى الحقيقة بواسطة الاستدلال، وحتى ما إذا كان هذا الوصف العام ينطبق على الحالات المتعددة إلا أنه غاية في الإبهام"[1].

إهتّم بهذا الموضوع عدّة فلاسفة ومفكرين، إذ ساهم هؤلاء في إرتقاء هذا المفهوم حتى بلغ ذروته، على يد الفيلسوف الألماني " فريدريك هيجل"، لكن لم يتوقف هذا الإهتمام عند هذه النقطة، بل تواصل من بعده إلى أن تراجعت أهميته لأسباب معينة نستطلعها في بحثنا هذا.

المـبحـث الأول: ماهية الديالـكتيـك.

أما من الجانب اللغوي و الاصطلاحي فالجدل من حيث اشتقاقه اللغوي :

"فإننا نجد في أصل كلمة جدل (Dialectique)الاسم اليوناني (L6YOS) المشتق من كلمة (LEYW) الذي يدل معنياه الرئيسيان على «الكلام »أو«الخطاب و الحجة » ... بالاستناد إلى الإشتقاق اللغوي، نفهم معنيين لكلمة «جدل» تعني هذه الكلمة أولا: فن الكلام...الكلام الذي يجعلنا نفهم ونبرهن..وتعني ثانيا: فن المناقشة ـ إنها تتضمن فن البرهان وفن دحض كلام الخصم."[2]

وردت كلمة الجدل في معجم جميل صليبيا كالآتي:

"في الفرنسية: **Dialectique** في الإنكليزية: **Dialectic**وأصله في اليونانية: **Dialektik** جدل جدلاً اشتدّت خصومته، وجادله مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه، وفي القرآن الكريم: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ .

[1] محمد فتحي عبد الله، الجدل بين أرسطو و كنط، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سنة: 1995،1415، ص:9.
[2] المرجع نفسه، ص:9.

الجدال في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة، أو مسلّمة والغرض منه إلزام الخصم، وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، (تعريفات الجرجاني)، فإن كان الجدلي سائلاً معترضاً، كان الغرض من الجدل إلزام الخصم وإسكاته وإن كان مجيباً حافظاً للرأي، كان الغرض منه أن لا يصير ملزماً من الخصم."[1] تتعدد التعريفات فتتفق أحياناً، وتختلف أحياناً أخرى حول مفهوم الجدل "وهي أبعد ما تكون ذات معنى واحد تماماً. فهي من فعل، الذي يعني التحاور، التجادل، التناقش. وهو في مبدئه يتعلق إذن بممارسة الحوار. لكنه سرعان ما أتّخذ معنى أوضح بقدر ما صارت هذه الممارسة أوعى لأساليبها فصارت عندئذ تعني مناقشة مؤسسة على نحو ما،منظمة ـ عادة في حضور جمهور يتابع اللعبة ـ كأنها نوع من المبارزة بين متحاورين يدافعان عن أطروحتين متناقضتين. عندها إرتفع الجدل إلى مستوى فن، فن الإنتصار على الخصم، فن نقضه أو مغالبته...وكما أن ممارسة هذا الفن، حيث يكون الدفاع عن أطروحة مرتبطاً نسبياً بمناقشة موضوعة أو عدّة موضوعات متعارضة، تستوجب لبلوغ غرضها، تجاوز الخصم بالدقة والمهارة وقوة الحجة "[2].

"إن المعنى الأصلي للجدل (الديالكتيك) والذي ترتبط بـه كل المعاني الأخرى هو فـن الحوار. ويشهد لذلك بالإضافة إلى اشتقاق الكلمة، نصوص أفلاطونية صريحة، الجدلي بأنه الذي يعرف فن السؤال والجواب (اقراطيلوس390ج). ولذا بقي الجدل، وإن استعمله

[1] جميل صليبيا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، د(ط، س) ص:391.

[2] روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من ارسطو إلى راسل، تر:خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، د(ط، س)، ص:25.

اليونانيون في معان مختلفة، متضمنا دائماً لفكرة الحوار"[1].

"قد نسب أرسطو إبتداع الجدل إلى زينون. وربما لم يصنع زينون سوى أنه أعطى صورة تقنية لهذه الطريقة التي استعملها من قبله بكيفية غير مضبوطة...وخرج الجدل من حوار ذي صوت واحد، و أمكنت المقابلة بين الأفكار...وتحول الجدل عند السفسطائيين على جدال يعارضون فيه النظريات بعضها ببعض بدون حرص على الوصول إلى الحقيقة، ويسعون إلى إقحام الخصم بإظهار تناقضاته"[2]

أمّا في موسوعة لا ل ند فجاء تعريف الجدل والجدلي كما يلي:" فن المحاورة والمساجلة ومن ثمّ: أولاً، فن التحاور بمقابسات بأسئلة و أجوبة: ثانياً، فن تقسيم الأشياء إلى أنواع وأصناف...للتمكن من فحصها ومناقشتها...

يرى أفلاطون أن ممّا يترتب عن الجدليّة الإنتقال من مفاهيم إلى مفاهيم، من قضايا إلى قضايا وصولاً إلى الكليات الأعّم و المبادئ الأولى، التي ترتدي في نظره قيمة وجودية ...وفرق أرسطو بين الجدل والتحليل...فإن الجدل يرمي إلى الإستدلالات العقلية التي تتناول آراءً محتملة"[3].

هذا ما كانت تعنيه كلمة الجدل (Dialectic) عند اليونان قديماً حسب أندريه لالاند.

أمّا في العصر الوسيط وعند الرواقيين بالذات ـ حسب ذات المصدر ـ فالديالكتيك كلمة "صارت تدل على المنطق الصوري وتقابل البيان "[4].

ورد عن أندريه لالاند، كذلك توضيحاً لمعنى الجدل في الفترة الحديثة لدى الفلاسفة مثل كانط إذ "يطلق كانط اسم جدليات، على كل الإستدلالات الوهمية،ويحدد الجدل عموماً بأنه «منطق المظهر».فالمظاهر تكون: إمّا منطقية...أو تجريبية...وإمّا إعلائية"[5].

كما سبق وأن أشرنا. للجدل معان اصطلاحية عديدة ويجدر بنا أن نورد أهمها:

1- " أنه منهج للدحض بواسطة فحص النتائج المنطقية، ونجد هذا المعنى عند زينون.

2- استدلال سوفسطائي.

---

[1] الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1990،1، ص:120.

[2] المرجع نفسه، ص:121.

[3] أندريه لا لاند، موسوعة لا لاند الفلسفية، تع :خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، مج:1،ط2001،2، ص:272،273.

[4] المرجع نفسه، ص: 273.

[5] المرجع نفسه، ص:273.

3- ونجد للجدل عند أفلاطون معنيين:

أولهما: أنه منهج للتقسيم أو لإعادة تحليل الجنس منطقياً إلى أنواعه.

ثانيتهما: أنه منهج لفحص الأفكار المجردة العامة المتعالية بواسطة بعض عمليات الإستدلال...

4- وقد عرف كانط الجدل بأنه نقد منطق الخداع بإظهار التناقضات التي يقع فيها العقل حين يتجاوز الخبرة في معالجته للموضوعات الترانسندنتالية.

5- وأخيرا يعني الجدل عند هيجل التطور المنطقي للفكر أو الحقيقة من خلال الانتقال من الفكرة ونقيضها إلى المركب من هذه المتقابلات"[1].

"هو علم أكثر القوانين عمومية التي تحكم تطور الطبيعة والمجتمع والفكر.وقد سبق التصور العلمي للجدل تاريخ طويل من التطور،وبزغ المفهوم الخالص للجدل من خلال تنقيح المعنى الأصلي.لقد أكد الفلاسفة في القديم تأكيدا قاطعاً تحول الوجود واعتبروا الوجود صيرورة. و افترضوا تغير كل خاصية إلى عكسها ونجد في هذا الصدد هيراقليطس وبعض الفلاسفة المالطيين، والفيتاغوريين. غير أن مصطلح الجدل لم يكن قد استخدم بعد"[2].

[1] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص :10 ،11.

[2] يسار سينا، موسوعة الماركسية مفاهيم ومصطلحات، من موقع أرشيف الماركسيين على الأنترنت http://www.marxists.org/arabic/indexhtm

تـوطـئـة:

شهدت الفترة اليونانية رقي فكري وفلسفي لا يمكن أن يستّهان به، ولا الاستغناء عنه. وبالتالي ما من فلسفة جاءت من بعدهم إلاّ وقد تضمّنت هذا الموروث المعرفي، إمّا بالنقد أو الإضافة أو الإعجاب.كما يعدّ الفكر الفلسفي اليوناني نقطة انطلاق وارتقاء للعديد أو بالأحرى لمعظم الفلاسفة و المفكرين،بل وحتى العلماء وذلك حتماً يعود إلى أن هؤلاء قد تطرقوا إلى مجمل العلوم والمعارف، فكان "فريدريك هيجل" من معجبي هؤلاء إذ، تتبّع فلسفتهم وأخذ عنهم العديد من الأفكار. فحملت فلسفته في جوفها مبادئ هذه الفلسفات.

المبحث الثاني: المصدر اليوناني لهيجل في الجدل.

"أنكر الإيليون، كما هو معروف، حقيقة الصيرورة، والتغير، والتعدد. فالحقيقة الوحيدة عندهم هي الوجود. الوجود وحده هو الموجود على نحو حقيقي، أما الصيرورة فهي غير موجودة على الإطلاق، إنها وهم. والوجود واحد، والواحد هو الموجود فحسب. أمّا الكثرة فهي غير موجودة، إنها وهم كذلك. وعالم الوهم، عالم الصيرورة والتعدد هو عالم الحواس، وهو عالم مألوف لدينا الذي نعرفه عن طريق أعيننا، وأذاننا، وأيدينا، أعني عن طريق الإحساس بصفة عامة"[1].

بما أن أرسطو أرجع إبداع الجدل إلى زينون الإيلي واعترف بأنه مكتشف المتناقضات، فقد ارتأينا في بداية الأمر الإشارة إلى حججه الجدلية حيث تتفق معظم المراجع على أن زينون الإيلي "ولد في إيليا نحو سنة 489 ق.م انتهت به الدراسة و البحث إلى أن يذهب مع بارمنيدس فيما ذهب إليه، و أخذ يكتب فصولا... يؤيد بها رأي سالفيه"[2].

[1] ولترستيس، فلسفة هيجل المنطق و فلسفة الطبيعة، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، مج1 ط 3، 2007 ص: 16.

[2] أحمد أمين- زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ،ط)، سنة 1935، ص:44 .

تثير قضايا زينون الجدلية مجموعة من المسائل العميقة حول الزمن والفراغ واللانهاية والتغير والصيرورة والوجود و الحركة، والكل وعلاقته بأجزائه وكذلك مسألة الإتصال و الإنفصال.

فقد جاء زينون بأربعين قضية جدلية، تبقّت منها فقط ثمانية، أمّا التي ينقض بها الكثرة فهي كالآتي:

"إذا كانت الكثرة حقيقة واقعة كان الكون لا متناهياً* في الكبر ولا متناهياً في الصغر في وقت واحد، فهو لا متناهٍ في الصغر لأنه مؤلف من وحدات كما فرضت أولاً، ولابد أن تبلغ تلك الوحدات من الصغر حد اللانهاية بحيث لا يكون لها حجم لأنه إن كان للوحدة حجم سقطت عنه صفة الوحدة وأصبحت قابلة للإنقسام إلى وحدات أكثر منها"[1].

معنى ذلك أنه لابد للوحدات المكونة للكون أن يكون لها مقدار وإذا كان لكل وحدة مقدارا فإن الوحدة الواحدة تتميز عن الوحدة الأخرى بوجود شيء مميز، هو المقدار وعلى هذا فإنه بين الوحدة والوحدة وحدة ثالثة وهذه الوحدة الثالثة ذات مقدار، وبينهما وبين كل من الوحدتين مقدار كذلك وهكذا إلى ما نهاية.

من خلال هذه الحجج التي تبدو واقعيه ينفي زينون الكثرة، وبنفس الطريقة يأتي بأربع حجج ينقض من خلالها الحركة:

"إذا أردت أن تقطع مسافة ما، فستقطع نصفها الأول و يبقى أمامك نصفها الثاني، ثم ستقطع نصف هذا النصف و يبقى نصفه الآخر وهكذا ستظل تقطع نصفاً و يبقى نصف إلى ما لانهاية وإذن فلن تصل إلى غايتك المقصودة إلى الأبد"[2].

[1] أحمد أمين- محمود زكي نجيب، المرجع السابق، ص:46.

[2] المرجع نفسه، ص:47،46.

(*)متناه: التناهي هو أن يكون ثمة حد يقف عنده الشيء أو الفكرة، وهذا الحد ليس إلا نقيض الشيء الكامن بداخله. وتجاوز الحد يجعل الشيء هو ذاته النقيض أي الحد، فيصبح الشيء هنا يحد ذاته بذاته، فهو لا متناهٍ.

أما عن حججه المتعلقة بنقض الحركة فيقول زينون:" إن كل ما هو موجود فإنه يوجد في مكان ما، وهذا المكان الجديد سيكون بدوره موجوداً في مكان ثالث،وهكذا إلى مالا نهاية "[1]. أي أنه هناك أمكنة لا متناهية حسب رأيه، كل مكان يستوعب المكان الذي يليه، أي أن الوجود واحد ثابت ومحدود وهذا يمكن إدراكه من العقل ولكن لا يمكن تصوره في الواقع.

"تسابق رجل وسلحفاة، فهب أن السلحفاة تقدمت عشرة أمتار قبل أن يبدأ الرجل: نظراً لبطء سيرها، وكانت سرعة الرجل عشرة أمثال سرعة السلحفاة فلمّا بدأ الرجل وقطع عشرة الأمتار التي تفصله عن السلحفاة وجد أنها قد تقدمت متراً (أي عشر المسافة التي قطعها هو) فلما قطع هذا المتر كانت السلحفاة قد تقدمت عشر المتر...وهكذا يظلان إلى ما لا نهاية، فلو ظلّ المتسابقان إلى آخر الدهر فلن يلحق الرجل السلحفاة "[2].

تعدّ هذه الحجّة من أشهر الحجج التي يقدمها زينون لنفي الحركة، وهي تبدو معقولة لكنها ليست واقعية. ولا تتطابق مع نتيجتها التي تهدف إلى القول بانعدام حركة الأشياء"ومن هذه الحجج...يتضح أن الحركة مستحيلة وإن بدت لنا في الحقيقة واقعة. وإن فرضنا وجود الحركة، وقعنا في سلسلة من المتناقضات التي تتقاطع مع العقل والمنطق"[3].

أعجب هيجل بفلسفة زينون الجدلية، وأخذ عنه فكرته القائلة؛" بأن كل سلب تعين":"عن هذا الموضوع يقول هيجل: (إني لأجد شيئاً مثيراً عند زينون وهو الوعي بأن سلب التعين تعين، بمعنى أن الإنسان حين ينكر تعيناً ما فإن هذا الإنكار أو هذا السلب هو نفسه تعين جديد)،فسلب الحركة يعني إثباتا لتعين جديد هو السكون وسلب الكثرة إثبات للوحدة "[4]."

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، (د، ط)، 1958، ص:39.
[2] أحمد أمين-محمود زكي نجيب، المرجع السابق، ص:47.
[3] المرجع نفسه، ص:47.
[4] المرجع نفسه، ص:45.

ويمكن أن نلخص هذه النتائج في قضيتين: الأولى أن الوجود الفعلي Existenceغير حقيقي. والثانية أن ما هو حقيقي لا يوجد فعلياً: ونحن نعتقد أن هاتين القضيتين متضمنتان في فلسفة الإيليين"[1].

ليست هذه الفكرة، هي الوحيدة التي أعجب بها هيجل من فلسفة زينون، وإنما هناك "الفكرة الأخرى التي أعجب بها عند زينون الإيلي وهي؛ أن الجدل عنده إنصبّ على الحركة، وسبب ذلك أن الجدل هو نفسه حركة، أو قل إن الحركة ليست شيئاً آخر غير الجدل، فالشيء لا يتحرك إلا أنه يحوي جدله في جوفه ذلك لأن الحركة هي الصيرورة إلى الآخر أي أن الشيء يصبح غير نفسه فهي إلغاء ذاتي أو نسخ ذاتي"[2].

ليس زينون وحده في هذه الفترة من أشتهر بالجدل، فهيراقليطس أيضا يعد أحد الفلاسفة الذين اهتّموا بالجدل وأكثر من تأثر بفكرهم هيجل، هو "مفكر من أيونيا في آسيا الصغرى (576- 480 ق.م)...وصفه معاصروه بالغموض وذلك كان ربما بسبب أسلوبه المُلغّز وصعوبة فهم ما كان يطرحه من تأملات تتعلق بالتحول الكوني و الأضداد، وقد كان مناوئاً تقليدياً لبارمينيدس ويعتقد بأن النار التي هي المبدأ الكوني، تحول الكائنات والأشياء تحويلاً كاملاً، فالتناغم الظاهر للعالم لا يقوم إلاّ على اتحاد الأضداد"[3].

تقوم فلسفة هيراقليطس على نظرية التدفق أو الجريان، فحسب جوهر هذا الوجود هو الحركة المتدفقة والتغير و الجريان المستمر للأشياء.وتواصل هذا التغير هو صراع بين الأضداد وهذا الصراع هو أساس الوجود والصيرورة فكل موجود يحمل ضدّه بداخله.

يقول هيراقليطس عن موضوع التغير أو صيرورة الأشياء:"لا يمكنك أن تنزل مرتين في النهر نفسه، لأن مياها جديدة تغمرك باستمرار، و الوجود غير قابل للإنفصال عن هذه الحركة المتواصلة...والمرء لا يستريح إلاّ إذا تغير والزمن يغير مواضع

[1] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 18.
[2] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007، ص: 45.
[3] بيتر كونزمان و آخرون، أطلس –dtvالفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، ط2، 2007، ص: 667.

الأشياء...الفتى يصير شيخاً، والحياة تخلي مكانها للموت واليقظة للنوم، والأشياء الباردة تصير حارة و الرطب يجف"[1].

رغم قول هيراقليطس بالتغير إلا أنه يعتبر اللوغس «الواحد» هو الشيء الوحيد الثابت وكلمة «اللوغس» تعني عند هيراقليطس على وجه الأخص: "مبدأ الحياة، إنه مبدأ العالم، أو قانونه وعلة النظام والنسبة والانسجام والمعقولية للسيلان والتغير المستمر الواضح في الوجود، أي أنه الشيء الوحيد الثابت في التغير ويعني توازن النسب الثابتة أو تكافؤها"[2].

تسرد معظم المراجع التي تناولت المنهج الجدلي أن هيجل، قد تأثر تأثراً شديداً بأفكار هيراقليطس. وهذا ما يرد كذلك عن إمام عبد الفتاح إمام، في كتابه «المنهج الجدلي عند هيجل» فإن أما عن الأفكار التي أعجب بها هيجل في فكر هيراقليطس فتقريباً كل ما قال به هذا الأخير أخذ به هيجل:

"أما إن المنهج الجدلي عند هيجل تأثر بفلسفة هيراقليطس، وذلك ما يعترف به هيجل صراحة فهو يقول " لن تجد عبارة قالها هيراقليطس إلا احتّضنتها في منطقي...هيراقليطس يبدو لنا لأول وهلة أنه متناقض، ولكن ما إن تبدأ الفكرة في الظهور حتى ينكشف لنا أنه رجل ذو تفكير عميق. ولقد عبّر زينون عن اللامتناهي ولكن في جانبه السلبي فقط حيث

أشار إلى تناقضه على أنه غير حقيقي. أمّا هيراقليطس فنجد عنده...فكرة اللامتناهي موجودة بالقوة وبالفعل كما هي في ذاتها أعني على أنها وحدة الأضداد "[3].

يعني هيراقليطس بذلك أن "وحدة الأضداد لا يقتصر على الطبيعة، بل على الإنسان و أعماله وحياته كذلك، فيلعب بذلك دوراً أهّم من ذلك الذي يلعبه في الطبيعة"[4].

[1] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة الفلسفة اليونانية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت،ج1، ط2، سنة:1987 ص:76.

[2] حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د، ط)، 1992،ص:82.

[3] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق،ص:48،47.

[4] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،(د، ط) سنة: 1999، ص،128.

يعتبر هيراقليطس أن الوجود كله يقوم على النقائض وعلى وحدة الأضداد. كما يؤمن هيراقليطس باللامتناهي. ومن خلال هذه الفكرة يتضح لنا جلياً أنّ معظم ما قال به هيراقليطس ومجمل أفكاره أحتضنها هيجل في فلسفته وما من مصطلح إلا وقد أخذ به حتى أنه أحد الدارسين للفكر الفلسفي يطلق على هيراقليطس اسم «هيجل اليونان» من منطلق أن هيجل يوافق هيراقليطس في معظم الأفكار.

"يمكن القول إذن أن هيراقليطس هو فيلسوف الصراع، والصراع يكون بالطبع بين الأضداد. فالعالم مكوّن من أضداد: مرض و صحة، و خير و شر، و شبع و جوع و تعب و راحة، و لكنه المرض الذي يجعل الصحة ممتعة، والشر هو الذي ينتج الخير، والجوع هو الذي يرغّب في الأكل، و التعب هو الذي يُرغّب في الراحة. إذن فرغم وجود الأضداد إلا أن بينها نوع من الوحدة"[1].

بالإضافة إلى فكرتي « وحدة الأضداد و اللامتناهي» التي أخذها هيجل عن هيراقليطس هناك فكرة الوعي البشري التي كان هذا الأخير أول من تكلم عنها "«إني أبحث عن نفسي »، وجعل الوعي يواجه الوجود باعتباره موضوعاً له، ومن هنا أطلق عليه هيجل - بحق ـ لقب أول فيلسوف نظري"[2].

لم يخلوا الفكر السفسطائي هو الآخر من الحوارات الجدلية والخطابات الحجاجية والنقاشات القائمة على السفسطة. إذ امتهنته جماعة من اليونانيون مهنةً واتخذته عملاً لها. وهم تلك الجماعة من المعلمين التي يشير إليها، سقراط وأفلاطون بازدراء. حيث يصفهم سقراط بأنهم يجعلون الحجة الأضعف تبدو الأقوى. وانشغلت السفسطائية بجزئيات الحياة فكان منهجهم واقعياً. كما اهتّمت بالإنسان واعتبرته مقياس الأشياء جميعاً.

إذ يقول في هذا الصدد بروتاغوراس "إن الإنسان مقياس كل شيء، مقياس وجود الأشياء الموجودة ومقياس وجود الأشياء الغير الموجودة "[3].

[1] عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، (د، ط)، 1993، ص:46.
[2] إمام عبد الفتاح إمام،المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص50.
[3] عزت قرني، المرجع السابق، ص:95.

يرى بعض مؤرّخي الفلسفة أن أفكار السفسطائيين كانت نتيجة ذلك التغير الإجتماعي و السياسي الذي عرفته بلاد اليونان في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وفي الوقت الذي بلغت فيه الفلسفة اليونانية أوجّ رقيّها وازدهارها الفكري "لم يكن السفسطائيون مدرسة فلسفية كالفيتاغوريين أو الإيليين، لها آراء خاصة تربطها عقيدة فلسفية، إنما كانوا طائفة من المعلمين متفرقين في بلاد اليونان اتخذوا التدريس حرفة، فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد يلقون محاضرات ويتخذون لهم طلبة ويتقاضون على تعليمهم أجرا"[1].

نظراً لتلك الظروف التي كانت سائدة، انشغل العقل اليوناني بتولّي المناصب الكبرى في الدولة،فانتّهز السفسطائيون هذه الأوضاع فعمدوا "على تعليم اليونان ليكونوا مواطنين صالحين للحياة...فكان أهم ما يحتاج إليه الطالب، البلاغة و الإلقاء والقدرة على الجدال حتى يستطيع أن يواجه كل مسألة تعرض، إمّا بفكرة صحيحة أو بلعب بالألفاظ لإقحام السائل، لذلك كان من أهم تعاليمهم علم البلاغة"[2].

نبغت هذه الطائفة في اللغة وخاصة فيما تعلّق بالخطابة والبلاغة ولفتوا الأنظار والأنفس نحو محبة المعرفة والحكمة وإلى أهمية اللغة في الجدل وضرورة البيان والتنميق في الألفاظ.إذْ تعد هذه النقطة ميزتهم وفكرتهم الإرتكازية والأساسية في دراستهم إلا أنّهم من خلال هذه الخاصية، كانوا يقلبون الحقائق و يخلطون الأمور إلى عكسها، وحسب حاجتهم.

لعلّ أهم ما يميزهم كذلك، إستعدادهم الدائم للنقاش والجدال في كل المواضيع. المواضيع التي يعرفون عنها والتي لا يعرفون. وذلك يعود لعدم إهتمامهم بالحقائق المعرفية بل اهتّمو افقط بشكل الجدال والنتيجة التي تكون لهم فيها الغلبة.

[1] أحمد أمين- محمود زكي نجيب، المرجع السابق، ص:93.
[2] المرجع نفسه، ص:94.

"تحول الجدل لدى السفسطائيين إلى نوع من السفسطة أي إلى فن يستخدم المرء فيه المنطق في سبيل إرضاء مآربه.وهكذا نجد أن السفسطة جدل يستعمل لخدمة مآرب من يلجأ إليه دون أي إهتمام بالحقيقة ويمكن البرهنة على صحة القضية بعد البرهنة على صحة نقيضها...فقد إدعى السوفسطائي بروتاغوراس إن بمقدوره أن يجعل الحجة الأردأ تبدو أفضل أكثر من تعلقه بالمنطق أو بالفلسفة"[1].

يعد جورجياس الملقب « بصاحب القضايا المتعارضة» من أشهر الذين اهتّموا بالبلاغة من بين السفسطائيين.

هو " من مواطني ليونتينيleontini بصقلية. وفد على أثينا سنة 428 ق.م وهو متقدم السن" [2].

عمل السفسطائيون على تعليم الشباب اليوناني الطموح إلى شغل مناصب سياسية، إذ كانوا يجادلون ويلقون دروسهم في أي زمان وأي مكان، في خدمة مطامحهم على أي وجه كان بالحق أو بالباطل مقابل أموال يجنونها من وراء هذا التعليم.

في هذا الصدّد يقول جورجياس: "ليس من الضروري أن تعلم شيئاً عن الموضوع لتجيب، وقال :إن في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل"[3]

إذْ يظهر المنطق الجدلي عند جورجياس في محاولته البرهنة على ثلاث قضايا أساسية و هي الموضوعية و الذاتية، والموضوعية الذاتية، وتعني على الترتيب:

1- برهن في القسم الأول (موضوعياً) أن لا شيء موجود.

2 - وبرهن في القسم الثاني (ذاتياً) أنه على افتراض أن الوجود موجود فلا يمكن معرفته.

3- و برهن في القسم الثالث (موضوعياً و ذاتياً) أنه ليس ثمة اتصال ممكن بين ما يوجد و ما يعرف"[4].

[1] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 12 .

[2] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس(575 ق.م) إلى أفلوطين(680 م) و برقلس (475 م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، سنة : 1991، ص:57.

[3] المرجع نفسه، ص:94.

[4] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:51.

من خلال هذه القضايا يكون جورجياس قد ألغى الوجود و كذلك معرفته، وبالتالي تتحقق إمكانية الاتصال بين الوجود الذي يؤدي إلى العدم و الواحد الذي يؤدي إلى الكثرة حيث يبرهن على هذه القضايا بالحجج التالية :

" القضية الأولى:

لا يوجد شيء على الاطلاق: فإذا وجد شيء ما فيجب أن يكون وجودا أولاً وجوداً أو مزيجاً من الاثنين في وقت واحد.

- لا يمكن أن يكون لا وجوداً لأن اللا وجود لا وجود له،إذا وجد(الموجود) لكان وجوداً في وقت واحد و هذا محال.

- ولا يمكن أن يكون وجوداً لأن الوجود غير موجود، إذا لو كان الوجود موجوداً لوجب أن يكون إما أزلياً أو محدثاً أو أزلياً و محدثا في وقت واحد**"[1].**

"- فإذا كان قديماً فهذا يعني أن ليس له مبدأ، و أنه لا متناهٍ، و لكنه محوى بالضرورة في مكان، فيلزم أن مكانه مغاير له و أعظم منه،و هذا يناقض كونه لا متناهياً،و إذن فليس الوجود قديماً.

القضية الثانية:

"إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته".

يقول جورجياس: (أنه لكي نعرف وجود الأشياء يجب أن يكون بين تصوراتنا و بين الأشياء علاقة ضرورية هي علاقة المعلوم بالعلم،أي أن يكون الفكر مطابقاً للوجود، وأن يوجد الوجود على ما نتصوره،ولكن هذا باطل فكثيرا ما تخدعنا حواسنا و كثيرا تركب المخيلة صوراً لا حقيقة لها).

[1] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص:250، 251 .

القضية الثالثة:

"إذا عرفنا شيء فلا نستطيع نقل هذه المعرفة للآخرين لأنها نسبية"...

هكذا اصّطنع جورجياس الجدل الإيلي لكي يبرهن على نقيض القضايا التي نادى بها كل من بارمينيدس و زينون، و بين أنه من الممكن استخدام الجدل للبرهان على قضية و على نقيضها في وقت واحد **"[1].**

استخلص هيجل من جدل جورجياس أفكاراً و أدرجها في جدله، وهي تعنى "بدراسة للفكر من الناحية الموضوعية (الوجود)،و من الناحية الذاتية (المعرفة) و من الناحية الموضوعية و الذاتية معا (الإتصال بينهما) و يبين أن السلب يكمن في جوف هذه الأقسام الثلاثة"[2]

في مقابل السفسطائيين وفي ذات الفترة،هنالك سقراط الذي يشكل نقطة التحول في الفكر، على مستوى الفلسفة اليونانية إذ يؤرخ به، قبله و بعده، وهو أحد أكبر حكماء اليونان" و لد في أثينا سنة 462 ق،م لم يؤلف كتباً، ولكنه بقوة كلمته، و سداد حجته وعميق تفكيره و مثل حياته الفريد قد ألهم كل ما كتبه تلميذه الأنجب أفلاطون"[3].

يعتبر الفيلسوف الأول الذي وجه الفلسفة إلى الإنسان لأنه كما يقال هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض" وهو الذي وضع العنصر الجدلي في صورته الذاتية بصفة خاصة و هذا ما ينبغي علينا أن نتوقعه من الطابع العام لتفلسفه، و هي الصورة التي تبدو في التهكم...Irony، و لقد أعتاد أن يمارس جدله أولا: ضد المفاهيم الشائعة و ثانياً:ضد السفسطائية على وجه الخصوص"[4].

[1] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص:251.
[2] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:52.
[3] جيمس فينكيان اليسوعي،أفلاطون سيرته،آثاره و مذهبه الفلسفي، دار المشرق، بيروت، ط1991،1، ص:23 .
[4] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، تر: إمام عبد الفتاح إمام،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت،مج1، ط2007،3، ص:219.

"وقف سقراط في مواجهة السفسطائيين وأعلن أنه يبحث عن الحقيقة...الجدل كان بالنسبة لسقراط يعني فن الحوار أو البحث عن الحقيقة عن طريق السؤال والجواب...وقد أضاف إلى هذه الطريقة طريقة أخرى سماها أرسطو فيما بعد الإستقراء...فالإستقراء السقراطي يبتدئ في أغلب الأحيان من ملاحظات جزئية وينتهي إلى تصور عام،يصححه صاحبه فيما بعد عن طريق قيامه بملاحظات مختلفة أخرى..ولقد كان التهكم السقراطي أو التظاهر بالجهل وعدم توجيهه للنقد سمة ذاتية للجدل السقراطي"[1].

لابد أن أكثر ما شاع عن سقراط هو أنه كان السبّاق إلى انتهاج هذا المنهج الجديد، الذي عرف بالتهكم والتوليد، و يتخذ شكل الحوار الإستنباطي. أمّا مرحلة التهكم فهي"مرحلة سلبية كان يتصنع فيها سقراط الجهل والسذاجة و يتظاهر بتسليم أقوال محدثيه ثم يلقي الأسئلة و يعرض الشكوك شأن من يطلب العلم و الاستفادة،بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة منها و لكنهم لا يسلمونها، فيوقعهم في التناقض و يحملهم على الإقرار بالجهل"[2]. ثم ومن خلال هذا الحوار يكشف سقراط جهل محاوريه الذين أدّعوا في بداية الأمر الإلمام بموضوع النقاش وقد أثارت طريقته هذه" عليه خنق الكثيرين وعداوتهم،و خصوصاً السفسطائيون الذين كانوا يتكسّبون من إدّعاء العلم، و السياسيون لأنهم بطبعهم أدعياء في العلم و في غير العلم"[3].

بعد مرحلة التهكم تأتي مرحلة التوليد وهي"مرحلة إيجابية أو إنشائية أو تكوينية، وفيها كان سقراط يساعد محدثيه بالأسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيباً منطقياً للوصول إلى الحقيقة التي أقرّوا أنهم يجهلونها فيصلون إليها وهم لا يشعرون ولا يحسبون أنهم استكشفوها بأنفسهم"[4] .

[1] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص:14.
[2] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص:282.
[3] بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة،المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1984، ص:578.
[4] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص:283.

أستلهم سقراط هذه الطريقة من مهنة أمه إذْ "يقول سقراط أنه تلقنها من أمه التي كانت...قابلة (داية)، و الداية ليس فقد تستخرج الأولاد من أرحام أمهاتهم، بل وأيضا تحكم هل الوليد حي أو قابل للحياة، أو على العكس ولد ميتاً،و سقراط هو الآخر يستخرج المعاني من عقول الناس و يحكم عليها بالصحة أو البطلان"[1].

يقول في هذا الأمر سقراط:"كنت أشرف على الولادة، لا ولادة الأجساد، بل ولادة النفوس،كانت لي القدرة على توليد الحقيقة في النفوس الحبلى بها"[2].

تتلخص أفكار سقراط الجدلية في قوله "لا أعرف سوى شيء واحد هو أنني لا أعرف شيئا"ويعد هذا المنهج«التهكم والتوليد» من أكثر إسهامات سقراط في الفكر الغربي وأهم ما قدّم سقراط للفلسفة ويمكن تسميته «بالمنهج الجدلي»ويسمى أيضا «بالمنهج السقراطي »وهو يقوم على التخلص من افتراضات للعثور على أخرى جديدة تؤدي إلى التناقضات ثم التخلص منها ويعد سقراط أول من اكتشف الحد الكلي بالإستقراء، كما أنه كان أول من ميّز بين موضوع العقل وموضوع الإحساس.

"يمكن أن نميز في المنهج السقراطي ثلاث خطوات رئيسية:

1- الخطوة الأولى هي إدراك الإنسان لنفسه، وهي خطوة يعجب بها هيجل جداً و يعتبرها تقدماً ضخماً في الفلسفة...

2- الخطوة الثانية وفيها يبدأ سقراط بإلقاء الأسئلة وإدارة الحوار، و النتيجة التي يصل إليها دائما هي إثبات جهل الناس بما يظنونه حقائق واضحة...

3- الخطوة الثالثة و هي تقوم على أساس أنه إذا كان الإنسان ليس لديه علم صحيح فإن في جوفه حقائق كامنة يستطيع أن يستخلصها من داخل نفسه ومن نفوس الآخرين"[3].

[1] بدوي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:577 .
[2] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص:283 .
[3] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:53 ،54 ،55.

"أمّا رأى هيجل في هذا المنهج فهو يرى أن سقراط عبر عن الجدل في صورته الذاتية بصفة خاصة، وهي الصورة التي تبدو في التهكم، فقد أعتاد أن يمارس جدله ضد المفاهيم والتصورات الشائعة...غير أن التهكم السقراطي ليس إلا لوناً خاصاً من ألوان الحديث بين شخص وآخر،ولهذا فهو صورة ذاتية من صور الجدل لأن الجدل يعالج الأشياء وعللها"[1].

لمّا يكون سقراط معلماً عبقرياً فحتماً سينجب فكره هذا، تلامذةً يفخر بهم الفكر ويحفل بهم التاريخ، ومن أشهرهم أفلاطون.

نجد عند سقراط لوناً من الجدل يحاول به أن يصل إلى تصور حقيقي للفضائل المختلفة من خلال المناقشة والحوار فإن أفلاطون نجده يسير في نفس طريق أستاذه سقراط بل و يخطوا خطوة أخرى أبعد من أستاذه،وذلك عندما بحث في التصورات العقلية لا فيعلم الأخلاق بل في الوجود ويعد أفلاطون أول من صاغ الديالكتيك صياغة فلسفية. وربط من خلال هذا المنهج بين مباحث الفلسفة فربط النفس بالأخلاق و بالسياسة.

"رأى أفلاطون أن الجدل هو المنهج الفلسفي الأعلى، هو حجر الزاوية الذي تقوم عليه العلوم، وكان من المقرر أن يكون الجدل هو المرحلة الأخيرة في التربية النظامية التي وصفها أفلاطون لفلاسفته الملوك...الجدل يتضمن دوماً البحث عن الماهية الثابتة ومن أمثلتها فكرة الخير بصفة خاصة...اعتبر أن الجدل بمثابة منهج فلسفي رفيع وهو أعلى الفنون الإنسانية فهو حجر الزاوية كما لو كان قد وضع على رأس العلوم"[2].

"نستطيع أن نعد أفلاطون مخترع الجدل أو مكتشفه،و ترتكز جدارته واستحقاقه لهذه التسمية على أن الفلسفة الأفلاطونية كانت أول من قدم صورة علمية حرة عن الجدل فضلاً عن أنها أول صورة موضوعية كذلك"[3].

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:55.
[2] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص:15 .
[3] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المصدر السابق، ص:218- 219.

إذْ يعتبِرُ الجدل"العلم الكلي بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة يصل إليه العقل بعد العلوم الجزئية، فينزل منه إلى هذه العلوم، حيث يربطها بمبادئها وإلى المحسوسات يفسرها .فالجدل منهج وعلم يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى و وبالعكس"[1].

" ففي المحاورات السقراطية نجد أن التقدم تصنعه نموذجياً عملية من المحاجة و المحاجة المضادة:تقدم وجهة نظر، و تعرض الأمثلة المضادة و الإعتراضات، وعندئذ تعدل وجهة النظر الأصلية آخذة هذه الإعتراضات في حسبانها، ثم تتكرر العملية و تتم تعديلات إضافية على نحو أكثر تقنية"[2].

نحن نعلم أن أفلاطون فيلسوف مثالي لذلك تصور الديالكتيك أو الجدل "هو المنهج الذي يرتفع به الإنسان من المحسوس إلى المعقول دون أن يلجأ في هذا إلى أي شيء محسوس و إنما عن طريق الإنتقال من فكرة إلى فكرة أخرى بواسطة فكرة ثالثة متوسطة تكون بمثابة حلقة الإتصال بين الفكرتين، و هذا يعني أنه إذا قمنا بدراسة فكرة معينة فعلينا أن لا نكتفي بالوقوف عند هذه الفكرة الأولى،بل من واجبنا أن نردها إلى فكرة أخرى أعم و أشمل،وهكذا حتى أصل إلى فكرة تكون أعم الأفكار جميعا و أعلاها مقاماً و هي مثال المثل كلها أو صورة الصور العقلية كلها"[3].

"استخدم أفلاطون الجدل بمعنيين الأول كمنهج يرتفع به العقل من المحسوس إلى المعقول دون الإلتجاء إلى ما هو محسوس.والثاني إنه العلم الذي يوصلنا إلى المبادئ الأولى.فالجدل عنده هو الفن الذي يرتفع به الفكر أو بمجموع أساليبه إلى مثل العالم المعقول"[4]

نجد أفلاطون كذلك يبين لنا "في الكتاب السابع من محاورة الجمهورية يقرب لنا حركة هذا الديالكتيك و ذلك فيما أسماه بأسطورة الكهف أو المغارة، و الحركة التي ينتقل بها السجين الذي أطلق سراحه من الكهف إلى العالم الخارجي هي حركة صاعدة و يقابلها الحركة التي

[1] اكرام فهمي حسين، منطق الفكرة الشاملة عند هيجل، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، العدد 26، 2009، ص:465 .
[2] جون كوتنعهام، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1997، ص:109 .
[3] يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د، ط)، 1993، ص:29 .
[4] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص:15.

يعود بها إلى الكهف مرة أخرى و هي حركة هابطة، و الحركة الصاعدة تمثل عند أفلاطون الديالكتيك الصاعد و الحركة الهابطة تمثل الديالكتيك الهابط أو النازل"[1].

و"يرى أفلاطون أن للجدل طريقين هما: الجدل الصاعد والجدل الهابط فالإنسان يلاحظ الجزئيات ثم يرتفع منها إلى الطبيعة العقلية العامة التي تربط بينهما، أي أنه يرتفع من خلال الكثرة الحسية إلى الوحدة العقلية التي تشملها وتفسرها، ومن هذه الوحدة العقلية إلى معقولات أعلى منها مرتبة "[2].

أو بعبارة أخرى "الجدلية الأولى صاعدة (وهي تلك التي تنطلق من الواقع الملموس إلى مفهوم الخير) والجدلية الثانية هابطة (بمعنى أنها تنطلق من مفهوم الخير المجرد لتعود على الملموس أو اليومي"[3].

فالجدل ضرب من المعرفة يسمو فوق الفروض ليبلغ مبدأ الكلي حتى إذا تعلق به نزل منه بخطوات متدرجة بغير معونة أي محسوس من المثل و في المثل حتى تنهى بالمثل"[4].

أفلاطون هو الآخر أنجب فكره الفلسفي، تلميذا سار على نهجه الفلسفي هو:

"أرسطو بن نيقوماخوس (384.322 ق.م)"[5] مؤسس علم الجدل الفلسفي، كان يقبل أفكار و قضايا معارضيه ثم يجادلهم فيها و يستنتج منها، يقال عنه أنه عاد به إلى معناه المتعارف عليه، فعرفه بأنه "الإستدلال بالإيجاب أو بالسلب في مسألة واحدة بالذات مع تحاشي الوقوع في التناقض، و الدفاع عن النتيجة الموجبة أو السالبة، ولا يمكن ذلك من جهة نظر أرسطو

[1] يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص:30 .
[2] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:58.
[3] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، الاردن، د(ط، س)، ص:154 .
[4] أحمد فؤاد الأهواني، نوابع الفكر الغربي أفلاطون، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د، س)، ص:73 .
[5] نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس و أعلام التربية و الطب النفسي و التحليل النفسي، دار الصداقة العربية، بيروت، ج2، ط1، 2002، ص:28 .

بالإستناد إلى حقائق الأشياء، لأن المقدمات الصادقة لا تنتج النقيضين في آن واحد، فلا يدور الجدل إلاّ بمقدمات محتملة أي آراء متواترة مقبولة عند العامة. فالقياس الجدلي يتفق مع البرهان في أنه استدلال صحيح، و يختلف عنه في أن مقدماته محتملة"[1].

على الرغم من أن أرسطو قد أستخلص قياسه من قسمة أفلاطون وأقام منطقه الصوري على رُؤاه في الجدل إلاّ أنه اختلف معه في مفهوم الجدل فإذا "كان الجدل عند أفلاطون هو منهج الوصول إلى الحقيقة، فهو ليس الطريق الموصل إلى اليقين عند أرسطو

بل هو فن يمكن تعلمه لإتقان النقاش و الحوار بين الناس العاديين لأنه استدلال قائم على الآراء السائدة و المقدمات الذائعة و ليس على المقدمات اليقينية كالبرهان"[2].

كذلك يطلق على الجدل الأرسطي اسم منطق الإحتمال. وهذا لأن موضوعه الإستدلالات ذات المقدمات المحتملة. كما يعتبر"أرسطو أنّ الأقاويل الجدلية قد تكون قياساً أو استقراءًا، فهو يرى أن القياس أشبه بجنس يندرج تحته أنواع مختلفة من الأقيسة...و يوضح أرسطو ذلك...قائلاً: إن القياس قول إذا وضعت فيه أشياء لازمة من تلك الأشياء الموضوعة شيء آخر غيرها بالضرورة، فالبرهان هو القياس الذي يكون من مقدمات صادقة أولية...والقياس الجدلي هو الذي ينتج من مقدمات ذائعة...و أمّا الاستقراء فهو الطريق من الأمور الجزئية إلى الأمر الكلي...و الاستقراء يستعمل في الجدل على وجهين أحدهما في تصحيح المقدمة الكلية في القياس و هو الأكثر، و ربما يستعمل أقل من ذلك في تصحيح المطلوب نفسه"[3].

اهتّم أرسطو بالجدل واعتبره وسيلة للتدرب على طرق التفكير، و طريقة لإختبار صدق المبادئ الأولى والغير مبرهن عليها في العلوم.

"يرى أرسطو أن الإستقراء الجدلي يجب أن يستخدم مع العامة من الناس، أما القياس فيجب أن يستخدم مع المتدربين عليه (أي المجادلين)...و ينبغي أن تؤخذ المقدمات من أصحاب القياس و الأمثلة من أصحاب الإستقراء"[4].

---

[1] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص:466 .

[2] مصطفى النشار، نظرية العلم الارسطية دراسة في منطق المعرفة العلمية عند ارسطو، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995، ص: 49.

[3] المرجع نفسه، ص:52،51.

[4] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص: 108 .

"يعتبر أرسطو (الجدل) في كتاب الطوبيقا علم ما يحدث ليس عندما نفكر بمعرفتنا، و لكن لتدعيم موقفنا. أي أن مشكلته، وهي نفسها مشكلة سقراط، هي إيجاد المقدمات التي يوافق عليها الخصم و التي بها يمكن أن ترغمه على الإعتراف بالنتائج التي تريدها. ويرى أرسطو أن المُجادِل إذا استخلص نتائجه من مقدمات محتملة بقدر الإمكان فإن جدله يكون جيداً"[1].

"يرى ارسطو أنه لكي تكون هناك ممارسة جدلية فلا بد من وجود شخصين متجادلين ،ويترتب على ذلك أن المجادل يستخدم تصورات معينة."[2].

"في فلسفة ارسطو بعض الأفكار التي كان لها عميق الأثر في فلسفة هيجل منها: التفرقة الأرسطية بين القوة والفعل فقد ظهرت هذه التفرقة في فلسفة هيجل تحت اسم «الضمني و الصريح » أو« ما هو في ذاته» و ما هو« في ذاته ولذاته »"[3].

قد ورد في كتاب الدكتور إمام عبد الفتاح امام، المعنون بالمنهج الجدلي عند هيجل، أن هذا الأخير لم يتأثر بجدل أرسطو بقدر تأثره بباقي فلاسفة اليونان إذ يقول :

"أما الفكرة الأرسطية عن الجدل فلم يكن لها –فيما يبدوا- أثر يذكر في تفكير هيجل ولعل ذلك يرجع إلى أن ارسطو نفسه لم يعطي للجدل المكانة التي كانت له عند أفلاطون و إنما اعتبره قياساً مؤلفاً من مقدمات ظنّية و مشهورة...فخصّص لدراسة هذا النوع كتاب (الطوبيقا) أي المواضع أو البراهين التي تقوم على الأقوال العامة أو المشهورة. ولعل هذا

[1] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق ، ص:121 .
[2] المرجع نفسه، ص17.
[3] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 34.

ما دعا هيجل إلى القول بأن (الفكر النظري عند أرسطو ينبغي أن يستخلص مما كتبه في الميتافيزيقا لاسيما الفصول الأخيرة من الكتاب الثاني عشر في الفكر الإلهي..."[1].

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:65 .

تـوطـئـــة :

بدأت كلمة (جدل) منذ عصر النهضة في الإختفاء من اللغة الفلسفية، وحلّت كلمة (منطق) محلها بيد أن كانط عاد فأحياها بمعنى جديد بعض الجدّة، ولم يكن هذا الأخير الوحيد الذي ساهم في إحياء الجدل. بل هناك مفكرين معاصرين له من أمثال اسبينوزا وفيتشه وشيلنج. إهتّموا بالجدل فاستقى هيجل أفكاراً كثيرة عمن سبقوه وعمن عاصروه. إذ جاء من بعدهم واعتبرهم المصدر الرئيسي و المباشر لإنبثاق أفكاره، فكان خاتمة الفلسفة النسقية وحتى المثالية.

المـبـحـث الثـالـث: مـصادر هـيجل مـن الفلسفة الحديـثة.

لم ينكر هيجل مطلقاً فضل الفلسفات السابقة عنه بل أشاد بدورها، وأعجب بما قد وصلت إليه، حيث كانت هذه المعارف الفلسفية بمثابة الحافز الذي ساهم في ارتقاء فلسفته خاصة فيما يتعلق بالمنهج الجدلي. وقد لعبت أفكار فلاسفة الفترة الحديثة وخاصة عند كل من اسبينوزا و كانط و فيتشه و شيلنج دوراً هاماً في تشكل الفكر الجدلي الهيجيلي.

"كان اسبينوزا الذي ولد (1632-1677) في أمستردام...منطوياً على نفسه...ويكرس حياته للتأمل الفلسفي. ولكن على الرغم من حياة الإعتزال التي كان يعيشها، ذاعت شهرته بسرعة...أمّا كتابات اسبينوزا لم تكن ضخمة في حجمها غير أنها تكشف عن قدرة على التركيز والدقة المنطقية"[1].

[1] بتراند راسل، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، تر: فؤاد زكريا، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، ج2، (د، ط)، 1993، ص:59، 60.

تأثر به هيجل وأخذ عنه حسب بعض المراجع ما يقارب أربعة عشر فكرة "الفكرة الأولى التي أخذ بها هيجل...هي القول « أن كل تعيين سلب »...فتعيين الشيء معناه وضع حد له ومعنى ذلك أننا نفصله عن الأشياء الأخرى، فإذا قلنا إن هذا الشيء أحمر كان معنى ذلك أننا نفصله عن الأشياء الأخرى أي أننا نسلب عنه هذه الألوان... وهذا المبدأ من المبادئ الأساسية في الجدل الهيجيلي لأن هذا الجدل يعتمد على القول بأن الحد يعني السلب"[1] "يرى هيجل أن الحقيقة في صيرورة وتغير، وليس ثمّ حقيقة مطلقة صادقة صدقاً كلياً في الزمان والمكان، إلا إذا وصلت الصيرورة إلى خاتمة مطافها ــ وأنّى لها أن تبلغ ذلك أبداً. ويأخذ هيجل بما قال به اسبينوزا من أن (تحديد سلب) ويفسره بأن أي تعريف (أو تحديد) للفظ يتضمن نفيا لصفات أخرى. فإذا قلت(إنسانا) فأنا أصفه بالحياة والعقل، وأنفي عنه أنه جماد أو شجرة أو كوكب"[2].

إذاً فكرة السلب هذه، لم تكن جديدة على الساحة المعرفية. حيث كما يبدوا أنّ هيجل قد استقاها من الفلسفات السابقة عنه، وهذه الفكرة «كل تعيين سلب »وأصبحت بعد ذلك تشكل أهمية بالغة في فلسفته. و الجديد عند هيجل، "ولقد ذهب اسبينوزا إلى القول بأن كل تعيين سلب، أمّا هيجل فهو يستخدم هذا المبدأ في صورة مقلوبة، وهي أن كل سلب تعيين...وإذا أضفنا السلب أو الضد إلى الجنس فإننا نحدده وبالتالي نعيّنه، وتحديده يعني تحويله إلى النوع "[3].

"كان اسبينوزا ينظر إلى المتناهي واللامتناهي على أنهما ضدّان يطرد الواحد منهما الآخر، ومن ثمّ وجد اسبينوزا أنه من المستحيل خروج المتناهي من اللامتناهي فإن كنّا لا نستطيع أن نقول سوى أن «أ هو أ» أو اللامتناهي هو اللامتناهي فإن «أ» لابد أن تظل «أ» إلى الأبد...ومن ثم يبقى عميقاً داخل ذاته"[4].

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:66.
[2] بدوي عبد الرحمان ، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975، ص: 142.
[3] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 103.
[4] المرجع نفسه، ص:105.

"الفكرة الهيجيلية عن اللامتناهي مدينة بالكثير لاسبينوزا أيضا. فكون الشيء لا متناه يعني أنه غير موجود.ومن ثم فالشيء المعين هو الشيء المحدّد أو المحدود لأن التعيين تحديد.وسوف يؤدي بنا ذلك إلى نتيجة تقول: إن اللامتناهي هو اللامتعين...الشيء الذي لا تعيين له لاصفات له كذلك من أي نوع"[1].

"إذا فكرة اللامتناهي عند هيجل هي الأخرى تعود لاسبينوزا، حيث تعد من بين أفكاره التي أعجب بها هيجل "فكون الشيء لامتناه معناه غير محدود، ومن ثم فالشيء المتعين هو الشيء المحدود لأن التعيين تحديد، وبناء على ذلك فاللامتناهي هو اللامحدود. ومادام الشيء الذي لا حدود له لا صفات له كذلك"[2].

"أعلن اسبينوزا عن مبدأ كان له أهمية بالغة. وهذا المبدأ هو «كل تعين سلب» أو «جميع التحديدات عبارة عن سلب» فتحديدك لشيء ما معناه فصله عن دائرة الموجود أي حدّه.والتعريف معناه وضع الحدود للشيء فقولك عنه إنه أخضر يعني أنك حددته أو فصلته عن دائرة الألوان...الأخرى...وهذا التحديد كالسلب سواء بسواء. فإثبات حدود معينة لشيء ما هو إنكار أنه يتعدّى هذه الحدود...فالإثبات يتضمن النفي...فالتحديد كله عبارة عن نفي أو سلب"[3].هذه القضية نجدها بصورة مقلوبة عند هيجل، ففي الوقت الذي يقول اسبينوزا أن كل تعيين سلب فإن هيجل ينادي بأن كل سلب تعيين.

لكن يعترض أنصار المنطق الصوري على نظرة هيجل هذه، ويقولون بأنه لا يمكن أن نعكس قضية اسبينوزا هكذا "ولكن يكفي للرد عليهم أن نشير إلى أن الإثبات لا يتضمن النفي فحسب،بل أن النفي أيضا يتضمن الإثبات...فالسلب والإيجاب متلازمان ويتضمن الواحد منهما الآخر. فمبدأ اسبينوزا، إذن، هو «إيجاب الشيء هو نفيه »أو«وضع الشيء

[1] ولترستيس، المرجع السابق، ص:44.
[2] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:67.
[3] ولترستيس، المرجع السابق، ص :43.

يعني سلبه». أما مبدأ هيجل فهو «نفي الشيء معناه إيجابه» أو «سلب الشيء يعني وضعه» و على ذلك فحيثما صادفنا هيجل يتحدث عن «قوة السلب الهائلة» فلابد أن نتذكر أن السلب عنده هو نفسه عملية خلق.لأن الطبيعة الإيجابية لشيء من الأشياء تتوقف عل تحديداته"[1].

إنّ هاتين الفكرتين لا تعتبران الوحيدتين من بين أفكار اسبينوزا التي أثارت إعجاب هيجل فقد "ذهب «مايرز» إلى أن هيجل يتفق مع اسبينوزا في أربع عشر قضية، لعلّ أهمها...القضايا الخمس الآتية:

1. التجريد هو الخطر الرئيسي على التفكير.
2. الأفكار المجردة هي الأفكار التي عُزلت من سياقها المناسب .
3. العينية في التفكير جوهرية للحقيقة.
4. الفكرة المتسقة هي الفكرة العينية.
5. الفرق بين الظاهر والحقيقة هو الفرق بين الشيء المعزول ونفس هذا الشيء حين يفهم من خلال سياقه المناسب. إلخ"[2].

بالإضافة إلى اسبينوزا من بين فلاسفة الفترة الحديثة الذين اعترف هيجل بفكرهم الجدلي وأخذ عنهم هناك كانط، الذي أشتهر بالصرامة الأخلاقية واهتّم بالجدل الترندستالي" ولد ايمانويل كانط (1724 -1804) في كونجز برج، في بروسيا الشرقية "[3]، يعتبر "بصفة خاصة هو الذي أخرج الجدل من عالم النسيان ليعطيه المكانة التي يستحقها"[4].

[1] ولترستيس، المرجع السابق، ص :44 .
[2] إمام عبد الفتاح إمام،المنهج الجدلي عند هيجلدراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص: 67.
[3] بتراند راسل، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص:117 .
[4] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص :219 .

"عرف كانط الجدل بأنه نقد منطق الخداع بإظهار التناقضات التي يقع فيها العقل حين يتجاوز الخبرة في معالجته للموضوعات الترانسندنتالية(*)"[1]، عالج كانت المنطق متأثراً بأرسطو،فقسمه إلى" منطق صوري ومنطق ترنسندنتالي. وقسم المنطق الصوري إلى مبحثين رئيسيين: التحليل والجدل وقصد بالتحليل البحث في التصورات و القضايا و الأقيسة"[2]، لقد تعرض كانط في باب الجدل الترانسندنتالي إلى نقد كل ميتافيزيقا العقليين، و موضوع الجدل الترانسندنتالي هو اثبات بطلان الميتافيزيقيات السابقة و أنها (خداع) و أنها ميتافيزيقيات غير مشروعة"[3]. يؤكّد كانط رفضه للميتافيزيقات السابقة عنه، فيقم ثورته عليها من خلال الجدل الذي كان قاعدته الأساسية.

يبدوا أنّ كانط هذه الشخصية الرائدة في الفكر الألماني، قد أثرت في هيجل خاصة في فترة شبابه وبالضبط في فترة تدريسه بالجامعة. الفلسفة الكانتية أثارت إعجاب هيجل بصورة بالغة لدرجة أنه: "من الصعب أن نفهم هيجل دون علاقته بكانط...إذ يظهر اعتماد هيجل على كانط في خمسة مواضيع هي: نظرية المعرفة، حدود العقل، الفهم، المتناقضات، المقولات"[4].

يقول هولدلين في رأيه عن الأفكار التي تأثر بها هيجل في جدل كانت:

"إننا إذا رجعنا إلى الأفكار المنتشرة في مذهب هيجل لوجدنا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالأفكار التي ذكرها كانط، فهي تسلك نفس الطريق و لكنها تسير إلى نهايته"[5].

أعجِب هيجل بفكرة الفهم، سواء في العالم النظري أو العالم العملي على حد سواء خاصة لدى كانت بالذات، وفي إشادته بهذه الفكرة التي إحتضنتها الفلسفة الكانتية، يقول في الموسوعة: "إن الفلسفة النقدية لها نتيجة واحدة سلبية وعظيمة في آن واحد، فهي قد أشاعت الإعتقاد بأن مقولات الفهم مقولات متناهية، و أن المعرفة إذا حصرت نفسها في نطاق هذه المقولات فإنها لم تبلغ الحقيقة، غير أن كانط...فسر الطبيعة المتناهية للمقولات

[1] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص:11.
[2] المرجع نفسه، ص:168 .
[3] المرجع نفسه، ص:23 .
[4] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:68 .
[5] المرجع نفسه، ص:68 .
(*)أي الأحكام التي تتخذ موضوعات لها تتجاوز حدود التجربة.

بأنها تعني أن هذه المقولات ذاتية، و يفصل بينها و بين الشيء في ذاته هوَّة لا يمكن عبورها"[1].

كان لفكرة المقولات عند كانط الأثر البالغ "في الجدل الهيجلي وهي أن المقولات فئة خاصة من الكليات...ولقد أخذ هيجل عن كانط فكرة التفرقة بين الكليات الحسية و الكليات العقلية، والأخيرة هي فكرة المقولات فهي تصورات خالصة أي أنها لا تحتوي على أي أثر للحس"[2].

المقولات حسب هيجل هي "الأساس الموجود في ذاته ولذاته بالنسبة لجميع الأشياء فكل شيء له وجود وله كيف وكم وسبب ونتيجة...فالوجود والكيف والكم والسبب والنتيجة مقولات أو كليات عقلية خالصة.

لهذا يرى هيجل أنه إذا كانت المقولات حسب الإشتقاق اللغوي لها...هي ما يجمل على الوجود أو ما يقال على الأشياء، فإنه يمكن أن تكون هناك مقولات كثيرة متعددة.."[3].

إذا كان هيجل يري أن المقولات هي «الشيء في ذاته» إذا فهو لا يوافق كانط تماماً في موقفه أو في دراسته للمقولات حيث يعارضه من قبيل "أنه لم يدرس مضمون هذه المقولات ولا العلاقات الدقيقة بين المقولات بعضها وبعض وإنما بدراستها ليعرف هل هي ذاتية أم موضوعية"[4].

ليست فكرة المقولات كم سبقنا الإشارة، هي الوحيدة التي أثارت اعجاب هيجل من بين أفكار كانط، بل أخذ عنه فكرة «متناقضات العقل »التي أنزل بها الفلسفة من السماء إلى الأرض، وخلّص من خلالها الفكر البشري و المعرفة ككل من الصرامة الميتافيزيقية التي كانت سائدة ومسيطرة.

[1] إمام عبد الفتاح إمام ،المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:69

[2] المرجع نفسه، ص:71،70.

[3] المرجع نفسه، ص: 124.

[4] المرجع نفسه، ص: 124.

"قدم كانط خدمة كبرى للفلسفة حين أشار إلى متناقضات العقل، ذلك لأن التعرف على هذه المتناقضات قد ساعد إلى حد كبير في التخلص من صرامة الفهم الميتافيزيقي كما ساعد في لفت الأنظار إلى حركة الفهم الجدلية...ولكن هيجل يأخذ على كانط أنه حصر التناقض في الذات المفكرة وحدها و ذهب الى أن العالم يخلوا من هذه المتناقضات"[1]، تشكل فكرة المتناقضات النقطة المركزية في جدل هيجل. فالعالم بالنسبة إليه عبارة عن متناقضات.

"يعلن كانط أن النقائض مشتقة من المقولات،وأنها تنطوي عل سلسلة مترابطة يتألف منها العالم ككل...تنشأ النقائض إذن عن مسعى العقل الخالص لتعدى حدود الخبرة الممكنة وإدعاء معرفة مايتعدى هذه الحدود. ومن ثم تنشأ النقائض عن أفكار العقل الخالص بحسب طبيعته فاستخدمها استخداماً ترنسندنتاليا أي طبقها على ما وراء الخبرة الممكنة ومن ثم إلى مباحث الكوزمولوجيا"[2].

بالإضافة إلى اسبينوزا وكانط من بين فلاسفة الفترة الحديثة والذين تأثر هيجل بفكرهم الخاص بالجدل، هنالك فيتشه الذي" ولد (1762-1814) في ظروف عائلية يغلب عليها الفقر، وتعهده راع كريم طوال فترة تعليمه المدرسي والجامعي"[3].

تأثر بفلسفة كانط وأشتغل بدراستها طوال فترة حياته عمل على تبسيط هذه الفلسفة النقدية خاصة وأنه كان يعمل أستاذا بجامعة برلين وما هو مشهور عن الجامعات الألمانية أنها تفرض على الأستاذ أن يقدم ملخصا عن المحاضرات التي يقدمها للطلبة الأمر الذي دفعه و ساعده على دراسة كانط دراسة وافية وكافية.

"فالفلسفة الفيشتية قد برزت و تألقت حين اشتّد تأثير الفلسفة النقدية في ألمانيا و في غيرها من بلاد أوروبا، وكان فيشته أول من نهض بمهمة شاقة هي بسط المذهب الكانطي و إصلاح أمره"[4].

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:69.
[2] محمد فتحي، المرجع السابق، ص:187 .
[3] بتراند راسل، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص: 127.
[4] عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د، ط)، 1979، ص:275.

لمّا نقول أن فيتشه قد عُنِيَ بدراسة كانط لا يعني هذا أنّه لم تكن لديه أفكار فلسفية خاصة به بل كانت الكانتية الحافز وراء نشأة فلسفته و النظرية فيتشيه بالذات التي تقوم على أربعة أفكار أساسية :

"(أ)- فكرة الأنا، الذات باعتبارها مبدأ أقصى، و هو الشعور الفردي لأن الأنا موجود في كل إثبات وجود.

(ب)- وضع تعدد المبادئ على المراتب، إيقاع ثلاثي لشرح نشأة الوعي...الموضوع المطلق من فعل الأنا الخالص، إذ ما تخارج واعياً بذاته يتولد عنه نقيض الموضوع، اللأنا، وإذا ما تم وضع الأنا واللاأنا كفعلين بدائيين جوهريين للروح،فإن مركب الموضوع يجمع بين الاثنين، ويتولد الوعي كعلاقة بين الذات و الموضوع.

(ج)- فكرة استنباط جدلي للمقولات خاصة الكيف والإثبات والنفي والتحدد،وصلة الواقع بالنفي، والانا بلا أنا، وتحويل الذات إلى كم، و مركب الموضوع خلق وإبداع وليس نتيجة جدل آلي كمي.

(د)- فكرة الخيال الخلاق بسبب الإنتاج اللاشعوري للأنا، فاللا أنا من عمل الأنا و يوضع نشاطها، الأنا ليست فقط مبدعة للفكر بل هي أيضا نشاط حر حامل للحرية "[1].

يعد مذهب فيتشه في الأنا ذا أهمية فلسفية بالغة وتكمن أهميته في كونه " كان الهدف منه الرد على ثنائية كانت. فلأنا، الذي يناظر في جوانب معينة فكرة وحدة الوعي الذاتي عند كانت هو كيان فعّال يتّسم بالاستقلال الذاتي بالمعنى الذي حدده كانت"[2].

أما عن المنهج الجدلي فيقال أن فيتشه هو من أرجعه إلى الفلسفة وذلك من خلال تعريفه ورده إلى مبدأ الذات أو الأنا التي تعتبر محور الفلسفة فقد " كان فيشته هو أول من عرّفه وجعله المنهج الفلسفي على الأصالة...وهذا الفعل الأول من أفعال الأنا متى أفصح عنه كان متّضمناً للمراحل الثلاثة في الجدل :

[1] حسن حنفي، فشته فيلسوف المقاومة، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، (د، ط)، 2002، ص: 190 ،191 .
[2] بنتر اند راسل، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص:127، 128.

«الدعوى»، و«النقيض»، و«نقيض الدعوى» و«الدعوى المؤلفة »: في المرحلة الأولى «الدعوى»تضع الآنية ذاتها (أي تؤكد ذاتها، وتصرح بوجود ذاتها على أنها الفعل الذي به تملك ذاتها على نحو خلاف، دون أن تكون هنالك ذات تفترض متقدمة عليها) وفي المرحلة الثانية «نقيض الدعوى» تكون هنالك لا أنا مقابلة للأنا، أي يكون تأكيد اللا أنا بسلب « الأنا ». وفي المرحلة الثالثة « الدعوى المؤلفة » يكون تأكيد لحد الأنا و اللا أنا، أي أن الأنا واللا أنا...نتيجة لهذه الحركة الموصولة من الدعوى، إلى نقيض الدعوى، إلى الدعوة المؤلفة"[1].

"إننا لا نستطيع أن نفعل شيئا دون أن نتعقل الإنية. و تعقل الإنية عند فيتشه معناه أن«يضع»المرء نفسه، أن يكون«موضوعاً»ذاتيا متمثِلة وموضوعا متمثَلا"[2].

"المبادئ الثلاثة...هي الوضع والمقابلة ثم التوحيد بين المتقابلين (عند فيتشه)، و يمكن وصفها بأنها موضوع و نقيض و مركب (عند هيجل)، و من هنا جاءت هذه المصطلحات الثلاثة...للجدل الهيجلي...وبعبارة أخرى التأليف عند فيتشه هو مجرد جمع وتركيب للحدين السابقين أما المركب عند هيجل فهو حقيقة الحدين السابقين،بمعنى أن الصيرورة ـ مثلا- ليست مجرد جمع للوجود و العدم،وإنما هي حقيقة هاتين المقولتين،و بدونها يصبح الوجود والعدم مجرد أفكار خاوية لا معنى لها"[3].

بالإضافة إلى اسبينوزا، وكانط، وفيتشه، من فلاسفة الفترة الحديثة الذين اهتموا بالجدل، هناك شيلنج الذي عاصر هيجل وهو "فيلسوف ألماني مثالي ولد في ليونبرج بمقاطعة فورتمبرج بجنوب غربي ألمانيا في 27 يناير سنة 1775 ...توفي في رجتسRagaz في سويسرة في 20 أغسطس سنة 1854"[4].

"ينظر إلى العالم الذي يحاول استنباطه على أنه عالم فعّال، على حين أن عالم العلم التجريبي بدا له جامداً خامداً...في فلسفة شيلنج الطبيعية نجد فكرة أساسية هي فكرة الأضداد التي تتجمع في وحدة، وهي فكرة تبشر بالجدل الهيجلي بصورة أوضح، و مع ذلك فإن

[1] عثمان أمين، المرجع السابق، ص:290-291.
[2] المرجع نفسه، ص:290.
[3] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص:72، 73 .
[4] بدوي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:25 ،26 .

مصدر الجدل يكمن في قائمة المقولات عند كانط، حيث أوضح أن الطرف الثالث في كل مجموعة هو جمع بين الأول و الثاني، اللذين هما ضدّان. مثال ذلك أن الوحدة هي، بمعنى ما، ضد الكثرة أو عكسها، على حين أن الكلية تنطوي على كثرة من الوحدات ،وهذا يؤدي إلى الجمع بين الفكرتين الأوليين"[1].

يؤكد فيتشه على مبدأ التعارض و التضاد والنفي كخصائص تجتمع في الشيء الواحد في حين أن شيلنج، يؤكد على مبدأ الطبيعة أمّا هيجل فسار على نفس نهجيهما ووافق "شيلنج في الإعتراف بالطبيعة...غير أن شيلنج فشل في التعرف على المنهج الوحيد الذي يمكنه من التوفيق بين المتناقضات...أطفأ شيلنج الأضداد بدلاً من أن يوفق بينهما،مع أن المشكلة هي التوحيد بين هذه الأضداد، فالحياة تعني الحرب والسلام في آنٍ واحد...وإذا كانت الهوية المطلقة حية فلابد أن تشمل جميع الأضداد"[2].

كذلك رفع "شيلنج من شأن الطبيعة وأهمل المنهج.ومن هنا فقد تقدم هيجل ليجمع بينهما في مركب واحد، وليجعل التناقض والتعارض في صميم الطبيعة ذاتها وفي قلب الوجود نفسه، ثم ليضع منهجاً واحداً يسير عليه العقل والطبيعة "[3]

[1] بنتر اند راسل،حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص:129 ،130 .
[2] امام عبد الفتاح امام، المنهجالجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل،المرجع السابق، ص:74
[3] المرجع نفسه، ص: 75.

الفصل الثاني:

الفكرة المنطقية الجدلية عند هيجل.

المبحث الأول: *المنطق الديالكتيكي عند هيجل.*

المبحث الثاني: فكرة التناقض وصراع الأضداد عند هيجل.

المبحث الثالث: الديالكتيك بعد هيجل.

تــوطــئة:

مما لاشك فيه أن المنطق الأرسطي كاكتشاف عبقري لم يبقى حكراً على أرسطو وحده، بل إهتّم به معظم الفلاسفة والمفكرين من بعده، وخاصةعند مفكري العصر الوسيط والحديث. حيث إشتغلوا بالمنطق لإعجابهم به، كما أنهم حاولوا الإضافة إليه وتعديله كيف ما تطلّب فكرهم، وبالإضافة إلى المنطق، هناك مفهوم الديالكتيك، حيث مرّ هو الآخر بعدّة تطورات و طرأت عليه تغيرات أسهم في بلورتها مفكرون وفلاسفة ومن بين هؤولاء هيجل الفيلسوف الألماني الذي حاول ربطه بالديالكتيك.

المــبحــث الأول: المـنـطـق الديـالـكـتـيـكي عـنـد هــيـجـل.

يبدو أنّه من غير الممكن القول بما قاله كانت "المنطق ينتهي مع أرسطو فما يطرحه الواقع من تطرقاتٍ للمنطق وإضافة التجديدات عليه ينفي تماماً رأى كانط هذا. لأن في حقيقة الأمر، المنطق بدأ مع أرسطو وأنطلق من هنالك نحوالنمو والتطور.

"فهيجل ينظر إلى المنطق نظرة جديدة تخالف النظرة الأرسطية القديمة، فهو عنده لا يدرس صور الفكر وقواعده فحسب وإنما يدرس مادته أيضا، ومادة المنطق ـ في رأيه ـ هي الفكر، وبالتالي فالمنطق هو دراسة لطبيعة الفكر الخالص، أو هو دراسة لحياة العقل الباطنية "[1].

بالتالي ومن خلال نظرة المناطقة منذ أرسطو ونظرة هيجل للمنطق، يمكننا "التمييز بين ثلاث مراحل في تكون المنطق:

1- ممارسة الجدل على نحو واع حقا، ولكنه غير منظّر بعد، وواقف عند مستوى وصفات تجريبية، مستخدمة أكثر مما هي ظاهرة علناً.

2- التصريح والتنظيم، المنهجي لقواعد هذه المجادلة، وهذا هو العمل الجديد المعترف به بهذه الصفة، الذي أتاه أرسطو في الطوبيقا.

[1] امام عبد الفتاح امام، المنهج الجدلي عند هيجل، المرجع السابق، ص :19.

3- الانتقال من ممارسة المجادلة إلى نظرية التعقل الشكلي عموماً، أي إلى المنطق: هذا هو التقدم الذي يقود من الطوبيقا إلى الهيرمينيا والأنالوطيقا..."[1].

لأن المنطق كما سبق وأشرنا بدأ مع أرسطو، فقد استمرّ هذا النسق الفكري إلى يومنا هذا شاغلاً على مرّ العصور مفكرين وفلاسفة على شاكلة فريدريك هيجل حيث كان للمنطق تأثيره البالغ في منهجه الفلسفي وخاصة فيما يتعلق بالديالكتيك، وهذا الأخير(هيجل) يعرف المنطق بأنه:"علم الفكرة الخالصة بمعنى أنه علم الفكرة في وسطها الفكري الخالص"[2].

يقول هيجل كذلك عن هذا العلم:"أنه السلبي هو إيجابي بدرجة متساوية، فأي شيء يواجه التناقض لا يختزل إلى صفر، إلى عدم مجرد*، بل يتحول من ناحية جوهرية إلى نفي محتواه الجزئي."[3].

فبعد أن كان الجدل الكلاسيكي يعتمد على التناقضات في الآراء ووجهات النظر أصبح بفضل هيجل يستند إلى الحقائق الواقعة والقضايا التي تنطوي في ذاتها على نقاط ضعفها وتناهيها.

"يتضح لنا أن الجدل وثيق الصلة بالمنطق.بيد أن هذه الكلمة الأخيرة أحرى بها أن تدل على نظرية التفكير العقلي، في حين أن الجدل على فن ضبط معرفتنا بالقواعد المنطقية في سياق المناقشة. ومبدأ الهوية هو الأداة الأساسية التي تعتمد عليها الفعالية المنطقية، وهو في صيغته السلبية ينقلب إلى مبدأ عدم التناقض الذي تقوم عليه البراهين بالخلف، وعلى هذا المبدأ الأخير يعتمد المجادل الذي يناقش خصمه بصورة مطلقة تقريباً.

إن دحض حجج الخصم، يعني إظهار أن نظريته تُناقِضُ الوقائع البديهية إلى أقصى حدود البداهة، أو نظرية أخرى من نظرياته. وبما أن القضايا المتناقضة لا يمكن أن تكون صحيحة في وقت واحد فإن هذا الخصم يضطر إلى الإعتراف بخطئه"[4].

---

[1] روبير بلانشي، المرجع السابق، ص: 24.
[2] المرجع نفسه، ص: 73.
[3] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 467.
[3] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص :10.
(*)التجريد عند هيجل لا يعني سير الذهن من الجزئيات إلى الكليات كما هو مألوف، بل يعني عزل الأفكار عن سياقها.

درس هيجل المنطق وانتهى من خلال هذه الدراسة "إلى أن الفكر جدلي الطابع، وأنه يسيرُ على إيقاع ثلاثي من إيجاب إلى السلب إلى تأليف بينهما، تلك هي ماهية الفكر وطبيعة الروح...وإذا أردنا أن نعرف كيف يمكن أن يكون الفكر جدلياً بطبعه فإن علينا الرجوع إلى المنطق فهذه الموضوعات نفسها دروس رئيسية هناك. وذلك هو المنهج الجدلي الذي يعبر عن ماهية الفكر وطبيعة الروح"[1].

من خلال تفسيره هذا يتضح لنا، أن هيجل قد تأثر بمنطق أرسطو لكنه لم يتفق مع هذا المنطق في كل ما يقول ولم يأخذ به كليته، ومن ثم ضمّه إلى فكره، بل ما يسمى بالمنطق الجدلي عند هيجل يختلف إختلافاً لا يتوارى عن دارسه عن المنطق الأرسطي الصوري حيث جاء في هذا الصدد على لسان العديد من المهتمين بالفكر المنطقي "أن هيجل قد استعاض عن المنطق الصوري بمنطق مادي ونبذ التفرقة الشاملة بين مقولات الفكر وصوره وبين مضمونها. فالمنطق التقليدي كان ينظرُ إلى هذه المقولات والصورعلى أنها صحيحة إذا كانت قد تكونت بطريقة سليمة وكان استخدامها متفقاً مع القوانين النهائية للفكر وقواعد القياس أيّاً كان المضمون الذي تطبّق عليه"[2].

"يرى هيجل أن مقولات الفكر وأحواله تُستمد من مسار الواقع الـذي تنتمي إليه وصورتها تتحدد ببنيان هذا المسار...إن المنطق الهيجيلي لا يلغي المنطق الصوري (الأرسطي)، لكنه يتجاوزه ويحتفظ به بإعطائه دلالة عينية على وجه التحديد. فالمنطق الصوري هو منطق المثل المفرد، والإثبات، والموضوع منعزلاً، أنه منطق عالم مبسط فهذه المنضدة...هي بوضوح هذه المنضدة...المنطق الصوري هو منطق التجريد"[3].

لم يتوقف هيجل عند هذا الموقف الأرسطي بل جاء بما يخالفه تماماً حيث ذهب إلى أن "المقولات يُحددُ شكلها فضلاً عن صحتها، ولكن طبيعة المضمون وطبيعته وحدها هي التي تحيا وتتقدم في المعرفة الفلسفية" [4].

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص: 20.
[2] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 469.
[3] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص:474 ،475.
[4] المرجع نفسه، ص :469 .

كما سلفنا الذكر أن هيجل قد تأثر بالفلسفة النقدية الكانطية، وخاصة فيما تعلق بفكرة المقولات، وقد كانت فلسفته عقلية محضة إذ يرجع كل ظواهر الوجود والفهم إلى العقل فكل وجود واقعي هو عقلي والكل الروحي هو المطلق وهو الحقيقة الوحيدة والنهائية لأحداث التغير، فالمنطق والفلسفة والجدل موضوعاتها العقل.

كما استخدم هيجل المنطق كأداة للنقد والتفسير، واختلف عن سابقيه في العلاقة بين الفكرة ومضمونها واعتبرهما شيء واحد ولا يمكن فصلهما، والفكرة متغيرة متحركة ومتطورة تنقلب إلى ضدها.

بالتالي يتخذ هيجل من هذه السلبية اساساً لنظرية الديالكتيك، إذ "يتضح المنهج الجدلي عند هيجل من تقسيمه للفلسفة، فقد قسمها إلى ثلاث اقسام رئيسية:

أ ـ المنطق أو علم الفكرة الشاملة في ذاتها ولذاتها.

ب ـ فلسفة الطبيعة أو علم الفكرة الشاملة في الآخر.

ج ـ فلسفة الروح أو عالم الفكرة الشاملة وقد عادت من الآخر إلى نفسها"[1].

أما المنطق الجدلي عند هيجل فهو يعني ذلك التطور المنطقي للأفكار داخل المثلث الجدلي من الموضوع إلى نفي الموضوع إلى التركيب"يعني الجدل عند هيجل التطور المنطقي للفكر أو للحقيقة من خلال الإنتقال من الفكرة ونقيضها إلى المركب من هذه المتقابلات"[2].

لقد أقام هيجل منهجه الجدلي على مراحل وخطوات وحاول ربطه بكل تخميناته وأفكاره الفلسفية، كما أعتبره جزءا من المنطق، وأن تاريخ الفكر ومنطق الفكر حسبه يسير انتقالًا من المجرد إلى العيني ومن الأدنى إلى الأعلى. وتقوم هذه العملية الإنتقالية في حركة الفكر، من الفهم إلى العقل ومن المنطق الصوري إلى المنطق الجدلي.

تعتبر ثلاثية الوجود، و العدم، و الصيرورة، أول مثلث جدلي هيجيلي للمقولات، وفي عملية استنباط هذه المقولات "يبدأ المنطق الهيجيلي بمقولة الوجود...التي علينا أن نجردها من كل تحديدات نوعية أيا كانت...بحيث نفكر في كينونتها Isness أعني وجودها

[1] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص :24.

[2] المرجع نفسه، ص: 11.

فحسب الذي لا يحتوي على أي مضمون...هذا الفراغ المطلق، ليس شيئا ما إنه انعدام كل شيء: انعدام جميع الخصائص، والكيفيات و الصفات. لكن هذا الإنعدام التام لكل شيء هو ببساطة عدم: فالفراغ أو الخلاء هو كالعدم سواء بسواء وعلى ذلك فالوجود والعدم شيء واحد. (الوجود يتضمن العدم)...إظهار أن إحدى المقولات تتضمن الأخرى هو بمثابة استنباط لهذه المقولة من المقولة الأخرى"[1].

لا يعني هيجل بالوجود تلك الأشياء المحسوسة بل تجريد هذه الأشياء المحسوسة حتى تصبح فارغة و بالتالي تصبح عدم أي يتحد الوجود والعدم، و ذلك لأنه يعتبر أن العدم هو الفراغ، و يعتبر ذلك الفراغ هو الوجود الخالص.

إن الفلسفة الهيجيلة في كليتها هي عبارة عن مثلث جدلي كبير، أمّا أضلاعه فهي المنطق وفلسفة الطبيعة وفلسفة الروح، فالمنطق هو الموضوع وهو العقل الخالص والطبيعة هي نقيضه وتركب بينهما الروح التي تعتبر الدارس لموضوع العقل حسب ممارسته لنشاطه داخل العالم. يصف هيجل " خطوات المنهج الجدلي الثلاثة بقوله إن الخطوة الأولى من عمل الفهم، والثانية من عمل العقل السلبي، و الثالثة من عمل العقل اللإيجابي "[2].

هي حدود يمكن إيجادها في أي مثلث جدلي حسب رأيه للمقولات التي صاغها، إذ يقول في هذا المنوال: "دائرة المنطق ثلاثة جوانب (أ) الجانب المجرد أو جانب الفهم (ب) الجانب الجدلي أو الجانب السلبي للعقل (ج) الجانب النظري أو الجانب الإيجابي للعقل...فالحد الأول هو عمل من أعمال الفهم: لأنه يؤكد نفسه، ببساطة، بوصفه المقولة الوحيدة في الوجود. وعلى هذا النحو يضع الوجود نفسه ويؤكد أن الوجود هو الوجود و لاشيء غير ذلك...والحد الثاني خاص بالعقل السلبي، فالعدم، مثلا حد سلبي وهو يتضمن العقل لأننا لكي نصل إلى العدم لابد أن نخرجه من ضده...والحد الثالث وهو الصيرورة خاص بالعقل الإيجابي، وهو إيجابي لأنه ليس مجرد سلب كالحد الثاني وإنما هو عود إلى الإثبات الأول الذي يستطيع أن يتحول إلى قضية في مثلث جديد"[3].

[1] ولترستيس، المرجع السابق، ص :100.
[2] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص: 68، 69 .
[3] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 111.

"هذه الجوانب الثلاثة لا تكون ثلاثة أقسام في المنطق، ولكنها مراحل أو لحظات لكل فكرة منطقية أعني لكل فكرة شاملة*، ولكل حقيقة أيا كانت...ولاشك أن الفكر في بدايته هوعملية الفهم هذه ونشاطها "[1]، "ويقصد هيجل بالفهم تلك المرحلة من تطور الروح التي تنظر فيها الروح إلى الأضداد، على أنها تستبعد بعضها بعضاً بالتبادل وينفصل بعضها عن بعض بطريقة مطلقة...ففي مرحلة الفهم، نجد أن كل مقولة تظل عبارة عن وجود قائم بذاته منعزل عن بقية المقولات وتصبح هذه المقولات تبعاً لهذه النظرة سكونية ثابتة لا حياة فيها "[2].

هذا في ما تعّلق بالفهم ،" أمّا في المرحلة الجدلية ، فإن هذه التحديات والصيغ النهائية تنسخ نفسها، وتنقلب إلى أضدادها...إن الجدل لا يكون في الأعم الأغلب إلا ضرباً من الحجج الذاتية تتأرجح بين تأييد شيء وتفنيده...غير أن الجدل هو الطابع الحقيقي والمناسب لماهية كل شيء يصفه الفهم المحض، فهو قانون الأشياء المتناهية وهو قانون المتناهي ككل"[3].

جاءت كلمة (جدلي) لتعبر عن تلك العملية الاستنباطية التي تقوم داخل المنطق أو بالأحرى داخل المثلث الهيجيلي الذي يشكل« التوحيد بين الأضداد» مبدأه الرئيسي.

"المنطق عند هيجل يتمثل في الفكرة الشاملة التي تجمع كل فلسفة هيجل بداية من المنطق ثم فلسفة الطبيعة ثم فلسفة الروح...لأن الفكرة الشاملة...فكرة لمجتمع المنطق (العقل المحض) والطبيعة (وهي النقيض)و في مركب واحد يجمع النقيضين"[4]. إذاً العقل هو الموضوع أو الفكرة والطبيعة هي النقيض أو نفي الفكرة أمّا فلسفة الروح فهي المركب الذي يجمع النقيضين.

[1] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص:211 ،212.
[2] ولترستيس، المرجع السابق، ص :109.
[3] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص: 216 .
[4] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 465 .
(*)الفكرة المنطقية في المنطق الصوري هي الفكرة الشاملة في المنطق الجدلي.

كما يعتبر هيجل الجدل من خصائص او موضوعات الفكرة الشاملة" و الجدل من ناحية أخرى هو بالضرورة لعبة الافكار الشاملة"[1]، و "العقل الجدلي لا يتخذ لنفسه مسافة خارج النسق الذي ينبغي أن يطبق علية، كما أنه لا يبدأ من إفتراضات عمل أولى مشكلة و مصاغة داخل النسق الذي نبحثه ثم نطبق عليه"[2].

"المنطق الصوري بتعبير هيجل "يتحمل المسؤولية عن فكرة واحدة لكي يحتفظ بلأخرى منفصلة وصادقة...أمّا المنطق الجدلي فيجاوز هذا السكون، وهو لا يرفض مبدأ الهوية ولكنه يعطيه محتوى ومضمون، فالوجود هو الوجود والكون واحد وقوة الخلق هي نفسها في كل أجزاء الكون...المنطق الصوري يُؤكِد أن "أ هي أ"والمنطق الجدلي...يذهب إلى أن" أهي حقا أ"بمقدار ما تكون القضية أ هي ليست تحصيل حاصل، بل ذات محتوى واقعي"[3]، "فعلم المنطق ينبغي أن ينظر إليه على أنه نسق العقل الخالص...المنطق إذاً بحث في طبيعة العقل أو دراسة للفكر الخالص، فهو لايعني بالأشكال والصور وحدها، وإنما يدرس هذه الأشكال مع مضمونها...وإذا أردنا أن نعرف كيف يكون الفكر جدلياً بطبعه فإن علينا الرجوع إلى المنطق فهذه الموضوعات نفسها دروس رئيسية فيه. وذلك هو المنهج الجدلي الذي يعبر عن ماهية الفكر و طبيعة الروح "[4].

كل ماهو موجود حسب هيجل هو في تناقض مع نفسه. وطبيعة الشيء هي القوة الدافعة إلى هذا التناقض وإلى هذا الصراع الذي يسعى إلى الكمال. وليحقق هذا الكمال يقيم العلاقات مع الأشياء المحيطة به لإكمال النقص الكامن فيه وهكذا يجبر ذلك الشيء على التخلي على هويته وينصهر مع الهوية الأخرى (التركيب) واتخذ هيجل علاقة الإنسان بمحيطه كمثال على هذه النظرة.

[1] إمام عبد الفتاح إمام، تطور الجدل بعد هيجل جدل الطبيعة، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط3، 2007، ص:87.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، تطور الجدل بعد هيجل جدل الإنسان، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط3، 2007، ص:126.

[3] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 475 .

[4] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص:25.

"إن القدرة على التفكير السلبي هي القوة الدافعة للفكر الجدلي الهيجيلي التي تستخدم لتحليل عالم الواقع من خلال ما فيه من نقص باطن...ولقد أثرت هذه الصيغة الغامضة غير العلمية في ابراز حدة التضاد بين التفكير الجدلي وغير الجدلي. ولكن التفكير الجدلي يثبت بطلان وجود تضاد قبل aprioiri بين القيمة والواقع، إذ ينظر إلى الوقائع جميعاً على أنها مراحل لعملية واحدة ـ ترتبط فيها الذات والموضوع على نحو من شأنه أن لا يكون من الممكن تحديد الحقيقة إلّا في إطار الكل الشامل للذات والموضوع معا"[1].

إن الأشياء الموجودة، في صراع من أجل إثبات ذاتيتها داخل الموضوع أو داخل المحيط الكلي وبما أن الروح أو الذات في حاجة لسد تلك الإحتياجات أو النقائص التي تتوفر في المحيط ومن خلال الفكر الجدلي فقط يمكن لهذه الروح أن تحقق ما تسعى إليه لأن"المنطق الجدلي منطق نقدي، فيه يكشف أحوالاً ومحتويات للفكر تعلو على النمط المقنن، للمبادئ المستخدمة والسارية...وليس الفكر الجدلي هو الذي يخترع هذه المحتويات، بل هي قد انضافت للمفاهيم خلال التراث الطويل للفكر والفعل. وكل ما يفعله الفكر الجدلي هو أنّه يجمعهما ويعيد تنشيطهما...فلما كان عالم المقال القائم هو عالم غير حر، فإن الفكر الجدلي يكون بالضرورة هداماً وأي تحرر يمكن أن يجلبه إنما هو تحرر في الفكر"[2].

من خلال المنطق الجدلي أستطاع هيجل أن يمنح الحرية للروح لتتمكن من التقدم داخل الوعي. وتحقق الوحدة المطلقة في الوجود.

[1] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص:468.

[2] هربرت ماركيوز، العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الإجتماعية، تر: فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي، مصر(د، ط)، 1970، ص: 22، 23.

تــوطئة :

يـرى هيجـل أن الـديالكتيك هـو خاصـية الفكـر التـي ينتقـل بفضـلها مـن فكـرة إلـى أخـرى، ومـن خـلال هـذه الخاصـية،وعبر تطـور المعرفـة البشـرية، تتشـكل مفـاهيم مثـل الوجـود، العـدم، الصـيرورة، الكـم، الكيـف، الجـنس، النـوع، وهـذه المفـاهيم تـرتبط ببعضـها الـبعض (الشـيء الواحـد ينتمـي إلـى كـل شـيء) وبصـورة عضـوية بمبـدأ التنـاقض (مفهـوم النفـي ونفـي النفـي) و هـذا التنـاقض، هـو نتيجـة التطـور فـي المعرفة أي هو نتيجة حتمية لا تنفصل عن المضمون الداخلي لهذه العملية.

المبحث الثاني: فــكرة التـناقـض وصراع الأضـداد لـدى هـيجل.

تشكل المثالية الألمانية أهم مرحلة في تطور الجدل، وذلك يعود إلى كانط الذي أحدث في الميتافيزيقيا ثغرة فطوّر الأفكار الجدلية الخاصة بالنقائض في مبحث المعرفة، وحاول كشف وَهْم الأحكام الترانسندنتالية من خلال بحثه في المنطق لمناقشة الجدل الترانسدنتالي، وبالرغم من أن كانط نفسه استبعد هذا الجدل واعتبره ميتافيزيقياً وغير مشروع إلاّ أنّ هيجل تأثر بفكرته عن الديالكتيك الترانسندنتالي التي يعرض فيها نقائض العقل فبلغ الجدل مع هيجل ذروته، وأصبح منهجاً فلسفياً شاملاً، "أمّا الجدل فهو يعني الميل المستمر الذي نتجاوز بواسطته التحديد، وأحادية الجانب لصفات الفهم بحيث توضع في وضعها الصحيح، أي يتضح ما فيها من سلب لأن الشيء المتناهي يطمس معالم نفسه...إنه لمن الأهمية بمكان ما أن ندرك طبيعة الجدل وأن نفهمها فهماً سلبياً. فالجدل، بصفة عامة هو مبدأ كل حركة وكل حياة وكل ما يتم عمله في عالم الواقع"[1].

قدم هيجل العالم كله على أنه صيرورة، وهنا تكمن الجدّة في جدل هيجل و في المثالية الألمانية، فالعالم الطبيعي والتاريخي وحتى العقلي هو في حالة حركة وتغير وتحول وتطور مستمر ودائم. والجدل هو مبدأ كل حركة. والتناقض الكامن في هذا الموضوع سواء كان هذا الموضوع عقلي أو تاريخي أو طبيعي هو الذي يحركه.

[1] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص : 217.

يقول روجيه جارودي "أن الإنطلاق الحقيقي لمنطق هيجل هو مفهوم الضرورة. فالسلبية أو النفي هو مصدر الداخلي لكل فاعلية، لكل حركة تلقائية حية، والتناقض هو جذر كل حركة وكل تظاهر حي، فقط بقدر ما يحوي شيء من الأشياء تناقضاً يكون هذا الشيء قادراً على الحركة على الفاعلية، على إظهار اتجاهات أو دوافع. السلبية هي النمط الملازم للحركة الذاتية العفوية أو الحية"[1].

"وجد هيجل أن أي تصور يمكن أن يحتوي على ضده كامناً في جوفه. وأنه يمكن استخراج هذا الضد، أو استنباطه، من هذا التصور. بل يمكن أن يقوم هذا الضد مقام الفصل وهكذا يتحول الجنس إلى النوع"[2].

فالجدل حسب هيجل ليس صفة عارضة للتفكير ولا نشاط ذاتي بل هو منهج ذا طابع موضوعي عام. ولأن المنهج لا ينفصل عن موضوعه فالحركة تبقى ملازمة للموضوع و مادامت الحركة ملازمة للموضوع فإن التناقض هو مضمون هذا الموضوع والجدل لابد منه في وجود الحركة وفي وجود التناقض. لأنه مبدأ كل حركة وكل تناقض و"ليست مشكلة هذا التناقض عملاً ذاتياً محضاً يتأرجح بين مجموعة وأخرى من المبررات، ولكنها تخدمنا، في أن تبين لنا أنّ كل قضية مجردة من قضايا الفهم، حين نتناولها في طبيعتها الدقيقة المعطاة تنقلب من تلقاء نفسها إلى ضدها"[3].

إذاً العالم هو وحدة الأضداد ومجموعة من المتناقضات، والجدل هو تلك الوحدة التي تنتقل عبر المتناقضات "وحدة الجدلية ليست اختلاطاً للحدود المتناقضة في ذاتها، ولكنها وحدة تنتقل عبر التناقض، وتعيد بناء نفسها في مستوى أعلى.

إن التناقض هو تمزق، هو تدمير داخلي، اقتلاع للوجود من ذاته اخصاب من خلال الصيرورة، إبادة وموت، ولكن الوحدة تعبر عن ظهور الوجود الجديد وتحدده. وذلك الوجود الجديد هو الحد الثالث"[4] و يقصد بالحد الثالث الصيرورة الناتجة عن حركة الجدل داخل الموضوعات (كالوجود والعدم مثلاً) والأشياء المحيطة بنا.

[1] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 47 .
[2] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 99.
[3] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص: 219، 220 .
[4] محمد رجب، ارسطو عبقري الفكر اليوناني، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د(ط، س)، ص:76.

"إن الجدل يعبر عن قانون نشعر بوجوده في جميع مستويات الوعي الأخرى، وفي التجربة بصفة خاصة فكل ما يحيط بنا يمكن أن ينظر إليه على أنّه مثال على الجدل. ونحن على وعي بأن جميع الأشياء متناهية...وبدلاً من وجودها المستقر النهائي نعرف أنها على العكس متغيرة ومتحولة. وها هو على وجه الدقة ما نعنيه بالجدل المتناهي...فالجدل في المتناهي يضطره إلى أن يجاوز حالته المباشرة أو وجوده الطبيعي ويتحول فجأة إلى ضده"[1].

كل وجود مجرد ومن خلال الحركة يتحول إلى عدم، وهذا ما يمكن تسميته «بتناهي الأشياء» أي أن الموجودات متغيرة ومتناهية بالضرورة فالشيء دوماً يتحول إلى ضده وهذا ما يسمى « بالجدل المتناهي » عند هيجل.

فقد تميز نسق هيجل الجدلي بالتوحيد بين المتناقضين داخل وحدة ثالثة جديدة تحمل مميزات كلا المتناقضين والتي أطلق عليها هيجل اسم الفكرة الشاملة أو الفكرة الموضوعية.

يسميها البعض الآخر« بالفكرة المطلقة » ويعرف هيجل الفكرة المطلقة في موسوعة العلوم الفلسفية قائلاً: "أن الحديث عن الفكرة المطلقة قد توحي بالإعتقاد بأننا يمكننا أن نصل إلى الحصيلة النهائية للموضوع...ومن الممكن بالتأكيد أن يقع الإنسان في جدل كبير جداً لامعنى له عن هذه الفكرة المطلقة، التي يكون مضمونها الحقيقي ليس إلّا النسق الكامل الذي نشرحه في نموه وتطوره...فالفكرة المطلقة(الشاملة)المقصود بها « العقل »"[2].

"إن الجدل هو استبعاد ذاتي الأحكام المتناهية وهو هدم لحجتها ولشرعيتها المطلقة. فمن خلال الجدل يوضح هيجل الشيء المتناهي في علاقته مع الآخر والجدل عنده هو الحافز لجعل كل الأحكام تؤدي إلى أحكام أخرى أكثر تعقيداً...فالجدل عند هيجل ليس جدلاً عقلياً فحسب لأنه لايتوقف عند النتيجة السالبة، لكن السلب عنده يولد ذاتياً نتائج جديدة وهكذا"[3].

[1] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص: 220.
[2] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 478 .
[3] المرجع نفسه، ص: 469.

أنه ومن خلال فكرة السلب، أو النفي، أو التناقض، كما يُطلق عليها أو كما يسميها هيجل «العقل السلبي » والتي في رأيه يتصف بها العقل الجدلي، يمكن أن يتحقق تقدم الفكر، وتتولد أفكارا جديدة عن طريق استنباط مقولات من المقولة الأولى ثم استنباط مقولة ثالثة تركب وتجمع مميزات المقولة الأولى والثانية فمثلاً في مثلث الوجود المقولة الأولى هي الوجود نستنبط منها العدم ثم نستنبط من خلال مقولتي (الوجود و العدم) مقولة الصيرورة كمقولة تركيبية. وهذا التمايز اللذي يحدث داخل المثلث الجدلي هو عبارة عن انفصال داخلي يعود سببه إلى وجود المتناقضات.

إذا هو تمايز ذاتي وليس خارجي "ويوضح هيجل هذا قائلاً "كل شيء إذا هو عبارة عن فكرة شاملة لأن كل ما هو موجود فهو عبارة عن شيء مفرد أو فردي الذي تكون طبيعته أنه مركب من الكلي والجزئي"[1].

إذاً، كل موجود يحمل بداخله نقاط «تناقض » و«وحدة الأضداد » التي تحدث له التناهي والتحول إلى الضد أوالسلب فالقضية هي «الإثبات »أو « الموضوع » و « النقيض » أو «النفي للموضوع » وثم « التركيب »، أو « نفي النفي » هو ما يحدث للمقولات داخل المثلث الجدلي الهيجيلي ويمكن تسميتها «بخطوات المنهج الجدلي» أو « أضلاع المثلث الجدلي ».

الجدل عند هيجل هو استدلال عقلي في التاريخ بل وفي الكون ككل، وكما سلفنا الذكر، فإن الجدل الهيجيلي يتألف من حركة ضرورية ذات ثلاثة أضلاع الفكرة والنقيض والمركب وهذا الثالوث كما يطلق عليه هيجل يبدأ بالفكرة الناقصة تحوي على متناقضات، تؤدي بها تلك المتناقضات إلى السعي إلى الكمال في النقيض إلا أن هذا النقيض يتواجد به عيوب ونقائص هو الآخر وبالتالي لا يبقى أمام هذه المتناقضات سوى الإندماج مع بعضها في تصور ثالث هذا الحل يبقى مؤقت بيده أن يحل المشاكل السابقة لكن تتولد عنه مشاكل ونقائض جديدة، فينشأ من جديد موضوع ونقيضه ويرتفع هذا التناقض إلى تآلف جديد وهكذا دواليك.

[1] اكرام فهمي حسين، المرجع السابق، ص: 480 .

"ألف الناس أن ينظرو إلى الجدل...Dialectic على أنه فن عرضي، ومن هنا عُدَّ هذا التناقض تناقضا ظاهريا أو هو لاشيء، إذ الأفكار تخلو منه ،كما قيل أن الواقع الحقيقي ينتمي إلى أفكار الفهم الأصيلة...غير أن الجدل هو الطابع الحقيقي والمناسب لماهية الأشياء المتناهية وهو قانون المتناهي ككل...ويعني الميل المستمر الذي نتجاوز بواسطته التحديد، وأحادية الجانب، لصفات الفهم بحيث توضع في وضعها الصحيح، أي يتضح ما فيها من سلب لأن الشيء المتناهي يطمس معالم نفسه، ويضع نفسه جانباً"[1].

هذا يعني أن الجدلية هي تعبير عن تفاعل بين الموضوع والنقيض عن طريق التطور والرقي نحو الفكرة المطلقة.

كما إن الجدل هو النقطة الرئيسية في فلسفة هيجل، فإن التناقض هو النقطة الرئيسية في الجدل الهيجيلي. والتناقض هو أصل كل حركة وكل تقدم.

"كان كانط...Kant، بصفة خاصة هو الذي أخرج الجدل من عالم النسيان ليعطيه المكانة التي يستحقها. ولقد فعل ذلك...أثناء شرحه لنقائض العقل...وليست مشكلة هذه النقائض عملاً ذاتياً محضاً يتأرجح بين مجموعة وأخرى من المبررات، ولكنها تخدمنا، في أن تبين لنا أن كالقضية مجردة من قضايا الفهم، حين نتناولها في طبيعتها الدقيقة المعطاة، تنقلب من تلقاء نفسها إلى ضدها"[2].

"وجد هذا الضرب من الجدل في كثير من الأمثال: فهناك مثل يقول: «العدل المطلق، ظلم مطلق». وهو يعني أنك إذا ما طبقت حقاً من الحقوق المجردة إلى الحد الأقصى فإنك تقوم بعمل خاطيء. ونحن جميعاً نعرف أن الحد الأقصى للفوضى، في الحياة السياسية، والحد الأقصى للاستبداد يؤدي، عادة ،كل منهما إلى الآخر.ونحن نجد الجدل في مجال الأخلاق في هذه الأقوال المعروفة جيداً: «الغرور يسبق الإنهيار » و «سرعان ما تفلّ السكين الحادة »، و «المفرط في الخداع والحيلة يخدع نفسه »"[3].

[1] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر السابق، ص:216، 217 .
[2] المصدر نفسه، ص:219.
[3] المصدر نفسه، ص: 221 .

"كل شيء في الحياة سواء أكان من الأمور الوجدانية أو الجسمية أو العقلية يكمن الجدل في طبيعته. ونحن نعرف أن الدرجات القصوى للألم والفرح ينقلب إحداها إلى أخرى، فالقلب المفعم بالفرح يُعبر عن فرحه بالدموع، وغالباً ما يعبرُ الحزن العميق عن نفسه بابتسامة"[1].

يعتبر هيجل الجدل تلك العلاقة المنطقية التي تربط بين الأشياء في شكلها البسيط المتناقض، ويعتبره أيضا ذلك الصراع المنطقي بين الوقائع المختلفة التي تعمل على وصوله إلى « الكلي المطلق ».

فالجدل هو إنتقال الفكرة إلى نقيضها، ولأن الفكر يشمل متناقضات تعبر عن أصل حركة الشيء. فالشيء ينبثق من هذه المتناقضات التي تعمل على حيويته و تغيراته. فلكل شيء نقيضه حسب هيجل. و في الثالوث الجدلي تكون المقولة الأولى دوماً "هي مقولة الإثبات أو الإيجاب، فهي تضع نفسها كفرض إيجابي مثل الوجود موجود...والمقولة الثانية هي دائما مقولة النفي أو السلب أو ضد المقولة الأولى فهي تنكرما تثبته المقولة الأولى فتتحدث عن اللاوجود، أو تقول إن الوجود غير موجود...ولم يأت هيجل بهذه المقولة الثانية من مصدر خارجي، وإنّما استُنبطت من المقولة الأولى، وهذا يعني أن هذه المقولة الأولى كانت تتضمن الثانية، وأن الأخيرة خرجت من جوفها"[2]، ولأن المنط الهيجيلي يختص بعلم الفكرة التي تنشأ منها الفكرة الأخرى، فإن هذا الفكر في رأيه يصنع ذاته بذاته من مجموعة من المقولات. وتظهر هذه المقولة لكي تعبر عن الفكر وهو يفكر في ذاته، حيث جاء في كتابه محاضرات في تاريخ الفلسفة أن " الفكر الملموس المعبر عنه على نحو أدق، هو الماهية، و هذه إذا كانت متعينة على نحو أفضل تكون هي الفكرة، إن الفكرة هي الماهية على قدر ما تتحقق، و لكي تتحقق لابد لها من تعيين ذاتها بذاتها".[3]

[1] هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، المصدر نفسه، ص: 221.
[2] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 101.
[3] هيجل، محاضرات في تاريخ الفلسفة مقدمة حول منظومة الفلسفة و تاريخها، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1976، ص: 89.

" تقف المقولتان يواجه كل منهما الآخر ويناقضه، ولكن من المستحيل أن نركن لهذا التناقض، لأن ذلك يعني أن المقولات المتضادة يمكن انطباقهاعلى شيء واحد في وقت واحد...فإذا قلت أنه موجود لابد أن تقول في نفس الوقت إنه غير موجود. لكن كيف تعتبر الصيرورة الفكرة الأولى العينية التصورية الصادقة. وذلك لأن الوجود والعدم مجرد تجريدات لايمكن لها أن تتفق مع فكرتها الماهوية إلا داخل فكرة الصيرورة.

"فالمقولة الثالثة تحوي في جوفها تضاد المقولتين، ولكنها تتضمن كذلك انسجامها ووحدتها. وعلى ذلك فالصيرورة هي الوجود الذي ليس وجوداً، أو هي اللاوجود الذي نفسه وجوداً. إنها فكرة واحدة ولكنها مع ذلك تضم في وحدة منسجمة فكرتي الوجود و اللاوجود المتناقضتين"[1].

"ولا يمكن للعقل أن يطمئن لما يسمى بالتناقض الذاتي، ومن ثم يجد نفسه مدفوعاً إلى المركب. وهكذا لايمكن لهذه العملية أن تقف عند حد بل لابد أن تستمر حتى تصل إلى مقولة لايظهر منها نقيضها...المنهج الجدلي يحقق، فيما يظهر، معجزة إخراج ماهو غير موجود في كل مقولة...فالفهم يعتقد أن الضدين كالوجود والعدم يستبعد كل منهما الآخر تماماً"[2].

"لابد أن نقول إن مبدأ هيجل في التوحيد بين الضدين هو عمل من أعظم الأعمال جرأة في تاريخ الفكر البشري، وهي جرأة ضرورية ولها ما يبررها إن كان على الفلسفة أن تحل مشاكلها القديمة...والجديد عند هيجل هو أنه كان أول من صاغه و قرره صراحة كمبدأ منطقي. إذ على الرغم من أنه قد وجد عند كتاب سابقين...تكمن جرأة هيجل وأصالته في أنه شرح بإسهاب كيف يمكن منطقياً أن يتحد الضدان، مع احتفاظهما في الوقت نفسه بتضاربيهما"[3].

[1] ولترستيس، المرجع السابق، ص: 102.
[2] المرجع نفسه، ص :103.
[3] محمد فتحي عبد الله، المرجع السابق، ص:103 ، 104.

تــوطــئة :

الديالكتيك كمنهج فلسفي شهد أوجّ الإزدهار على يد هيجل، لم يتوقف عنده أو بعد وفاته، كما أنه لم يسلم من الإنتقاد. إذ حاول العديد من الفلاسفة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين التماس العيوب وهفوات هذا المنهج الفلسفي المثالي إذ تعتبر"المثالية هي التيار الثاني الذي يواصل في القرن العشرين الميلادي التعبير عن الفكر الذي تميز به القرن التاسع عشر. وإذا كانت المثالية في الربع الأول من القرن العشرين تمثل تياراً ذا أهمية كبرى، إلاّ أنّ تأثيرها تناقض إلى درجة كبيرة في خلال الربع الثاني، إلى درجة...يمكن اعتبارها أقل التيارات الفلسفية تأثيراً في منتصف القرن العشرين"[1] ومع تضائل أهمية المثالية تضائل الجدل معها.

المبحث الثالث: الديالكتيك بعد هيجل.

بما أن المثالية عرفت ذروة التطور على يد هيجل فأنه" ثمة أمران يميزان «هيجل»...أحد هذين الأمرين التأكيد على المنطق، فقد ضن «هيجل» طبيعة الواقع يمكن أن تستنبط من الإعتبار الوحيد القائل بأنه يجب ألا يتناقض مع ذاته. والسمة الأخرى المميزة (والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالأولى) هي الحركة الثلاثية المسماة «الجدل »"[2].

يطلق على نظرية هيجل في الجدل اسم «النظرية الديالكتيكية المثالية». حيث تقوم هذه النظرية على الثالوث الجدلي. ففلسفة هيجل في مجملها عبارة عن مثلث كبير يحوي مثلثات لانهائية، تربط بينها الحركة الجدلية. ولكن ورغم وجود هذا التسلسل المنطقي في جدلية هيجل ورغم أنّ الجدل قد عرف رقيه على يد هيجل والمثالية قد عرفت رُقيها على يد الجدل الهيجيلي إلّا أن هذه النظرية لم تسلم من أصابع النقد، وقد"تصور هيجل الحقيقة الوجودية على أنها نمو جدلي للعقل المطلق الذي يصل دائما إلى تركيبات جديدة ابتداءً من مفهومي القضية ونقيض القضية.وفلسفة هيجل تقدم مذهباً عقلياً شاملاً...وقد حلت عدّة مذاهب متأثرة بالعلم محل المثالية الألمانية بعد هيجل. ولنذكر أولا المثالية الألمانية عند

[1] إ.م.بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أروبا، تر: عزت قرني، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط) ، 1992 ، ص 104.

[2] بيرتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج:2، (د، ط) ،2010 ، ص:353.

فيورباخ (1804-1872)م ومولیشط (1822-1893)م وبوخنر(1824-1899) م و كارل فوجت (1817-1872) م...ولنذكر بعد ذلك الفلسفة الوضعية التي أسسها في ألمانيا أوغست كونت(1798-1857)...وقد رأى هؤولاء جميعاً أن الفلسفة ليست إلا تجميعاً لنتائج العلم"[1].

يرى فردنان جونست مؤسس المدرسة الجدلية التي بدأت في الظهور سنة(1947م):"أن كل معرفة إنسانية هي معرفة جدلية ويعني بذلك أنها ينبغي أن تكتفي بفلسفات وبقواعد مؤقتة، تقوم على أساس الوعي الجماعي الحي للباحثين في عصر ما. فلا يوجد هناك معيار مطلق للحقيقة. وينتج عن هذا أنه لا ينبغي أن نقبل بصحة قضايا أو قواعد أو نظريات إلاّ طالما كانت نافعة لحركة العلم. ويرى الديالكتيكون أن هذا المبدأ صالح في شتى الميادين. وهم يضيفون أنه لا يوجد منطق مطلق، وإنما توجد وحسب نظم منطقية مختلفة: وعلينا إما أن نقبلها أو أن نرفضها، وذلك حسب مدى نفعها. ولا يقبل الجدليون اللوم الموجه إليهم بان موقفهم موقف نسبي، ويصرحون بأنهم لا يقولون بأن الحقيقة نسبية، وإنما يقولون وحسب أنه لا ينبغي أن نقبل أن يكون لأي شيء قيمة مطلقة"[2].

لأن هيجل يمثل نهاية الفلسفة النسقية والمثالية بالضبط، فإن الفلسفة من بعده قد عرفت منعرجاً. فقد ظهر بموازاةِ مع التيار الوضعي في فرنسا والتيار المثالي الرومنتيكي في ألمانيا. "ظهر الإتجاه اللاعقلي...ليعارض المذهب العقلي الهيجيلي. وممثل هذا الموقف هو شوبنهاور الفيلسوف الألماني (1788-186)م، الذي يرى أن المطلق ليس العقل، بل إرادة عمياء و لاعقلية. وإلى جانب شوبنهاور ظهر المفكر الدانيماركي كيركجارد (1813-1855)م ليدفع إلى مدى أبعد الهجوم على المذهب العقلي"[3].

إن هيجل يبدأ حججه في المنطق الديالكتيك، مفترضاً "أن المطلق هو «موجود خالص »، ونحن نفترض أنه كذلك على ما هو عليه، دون أن نحدد أية كيفيات له. بيد أن الوجود الخالص دون كيفيات هو لا شيء، ومن ثم نساق إلى نقيض القضية نمضي قدماً إلى القضية المركبة: والإتحاد بين الوجود ولا وجود هو الصيرورة، بناء على ذلك نقول:

[1] إ.م.بوشنسكي، المرجع السابق، ص: 29.
[2] المرجع نفسه، ص: 163.
[3] إ.م.بوشنسكي، المرجع السابق، ص :31.

«المطلق هو الصيرورة». وهذا أيضا، لايصلح بالطبع، إذ لابد أن يكون ثمة شيء يصير. وبهذه الطريقة فإن آراءنا عن الحقيقة تنمو بالتصحيح المستمر للأخطاء السابقة، وكلها نشأت عن تجريد غير سليم، بأخذ شيء متناهٍ أو محدود على أنه يمكن أن يكون الكل. «إن تحديدات المتناهي لا تأتي من خارجه فقط، فإن طبيعته هي علة الغائه، وبفعله الخاص يمضي إلى عكسه»"[1].

انتقد الفيلسوف الألماني فيورباخ النزعة المثالية عند هيجل، ونادى بضرورة اتّصاف الديالكتيك بالمادية، حتى يكون أكثر واقعية ومنطقية في تحليل الظواهر، ولم يقف عند حد الإنتقاد فقط، و إنّما ذهب إلى حد رفض المنهج الديالكتيكي ككل و إنكار أسسه ومبادئه التي يقوم عليها.

"إن أصالة فيورباخ تكمن في أنه هو الذي أنزل هيجل عن عرش الفلسفة، هو «أول من أكمل هيجل ونقده من وجهة نظر هيجل بحلّ الروح المطلقة ميتافيزيقياً (الإنسان الحقيقي على أساس الطبيعة)...إن أهمية النقد الفيورباخي لهيجل، بل إنزاله عن عرش الفلسفة، يتضح إذاً ما فهمنا وضع المدرسة الهيجيلية بعد وفاة الفيلسوف العملاق سنة 1831."[2]

إن ذلك التطور المبهر الذي وصلت إليه الفلسفة الهيجيلية وخاصة بعد وفاة هيجل شكّل إزعاجاً فكرياً لتلميذه فيورباخ، ممّا دعاه إلى البحث عن طرق وسبل للإطاحة بها. "فسيطرة الهيجيلية المطلقة قد بلغت أوجها في الحقبة الممتدة من 1830 إلى 1840 بالضبط، مسممة إلى هذا الحد أو ذاك حتى أعدائها. وفي تلك الحقبة بالذات نفذت مفاهيم هيجل بكثرة، بعمد أو بغير عمد، إلى مختلف العلوم، وأعطت خميرة حتى للأدب المبسط والصحافة اليومية، من حيث يستمد «الوعي المثقف» المتوسط أفكاره. ولكن هذا الضفر على طول الخط لم يكن سوى مقدمة لحرب داخلية». وهذه «الحرب الداخلية» خاضها وظفر فيها لودفيغ بول يوحنا انسلم فيورباخ."[3]

[1] بيرتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية ، المرجع السابق، ص :356 .
[2] حنا ديب، هيجل وفويرباخ، دار أمواج، بيروت، ط1، 1994، ص22.
[3] حنا ديب، المرجع السابق، ص:22 .

تتضح نقاط الإختلاف بين هيجل وفيورباخ، أو بالأحرى إن موضوعات هجوم فيورباخ على ديالكتيك هيجل تتمثل في ما يلي:

"سوف نرى في هجوم فيورباخ على مقولة «الوجود» being (المجرّدة من أي محتوى، مهما كان، التي بها يبدأ هيجل كتابه (علم المنطق)و Der logik Die wissenschaft والتي اصبحت والعدم Nothing شيئا واحداً، حسب الديالكتيك الهيجيلي، مثالاً على النقد الفيورباخي للتجريد الهيجيلي. و الواقع، أنّ الديالكتيك الهيجيلي يؤدي بالضرورة إلى الهوية Identity مقولة« الوجود» المجردة هذه مع مقولة «العدم». أمّا في الديالكتيك الفيورباخي، فليس العدم هو السلب، او النقيض للوجود، وإنمّا الوجود الحسّي، الوجود المليء بالمحتوى، هو الذي يشكل نقيض الوجود المجرد"[1].

إن تلك الإنتقادات ومحاولات الإطاحة بالمنهج الهيجيلي من طرف فيورباخ، دعت كارل ماركس وهو أحد تلامذة هيجل ومن أنصار المنهج الديالكتيكي إلى إعادة صياغة هذا المنهج، صياغة مادية عملية على ضوء تلك الإنتقادات التي وجهها فيورباخ "جاء التقدير العلمي الحقيقي للجدل على يد ماركس وانجلز. فقد استأصلا المضمون المثالي لفلسفة هيجل، وأقاما الجدل على فهمهما المادي للعملية التاريخية، وتطور المعرفة، وعلى تعميمها للعمليات الواقعية التي تحدث في الطبيعة والمجتمع والفكر، ويضم الجدل العلمي أساسا القوانين التي تحكم تطور الوجود، وقوانين المعرفة...ليس الجدل المادي « انطولوجياً » (وجودياً) فحسب، بل هو تعاليم « ابستيمولوجية » (معرفية) أيضا. إنه منطق يعتبر الفكر والمعرفة مساويين للوجود الذي هو في حالة حركة و تطور، ومساويين للأشياء و الظواهر، وهي في حالة صيرورة في عملية التطور، وهي تحدد مستقبلها أو ما ستصبح عليه"[2]

أبقى كارل ماركس النظرية الديالكتيكية على ذات أسسها ومبادئها، إلاّ أنه سلخها من المثالية وأعادها للواقع فطبقها على الظواهر و الأشياء.

[1] حنا ديب، المرجع السابق، ص: 23.

[2] يسار سينا، موسوعة الماركسية مفاهيم ومصطلحات، من موقع أرشيف الماركسيين على الأنترنت http://www.marxists.org/arabic/indexhtm

أقام ماركس الديالكتيك على الواقعية المادية وجعل منه نظرية شاملة ثم طبقه على كل الظواهر وفي جميع المجالات والعلوم. الإدارية، والقانونية، والطبيعية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، وكل تصور، أي كل مقولة، هي مقولة تاريخية بطبيعتها، رغم طابعها العام.

"إن التناقض هو المقولة الرئيسية في الجدل المادي...فالتناقض يحتوي على مفتاح جميع المقولات الأخرى ومبادئ التطور الجدلي: التطور بالإنتقال عن التغيرات الكمية إلى التغيرات الكيفية، وانقطاع الإنتقال التدريجي، والطفرات ونفي اللحظة المبدئية في التطور ،ونفي هذا النفي نفسه "[1].

اكتسب الديالكتيك بعد هيجل تطورات جديدة وطرأت عليه عدّة تغييرات وأتخذ منحنيات جديدة، "«فقد كان ماركس وأنجلز، يريان في جدل هيجل أوسع مذهب من مذاهب التطور، وأوفرها مضموناً وأشدها عمقاً، وأثمن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية..»...وكان ماركس يقول دائما :«إن الإطار المثالي الذي غلف الجدل الهيجيلي، لم يمنع هذا الرجل مطلقا من أن يكون أول من عرض الصورة العامة للجدل بطريقة واعية وشاملة ..»...ولقد لخص إنجلز رأى الماركسية في عبارة جامعة حين كتب إلى شمت يقول بإختصار شديد «من المستحيل أن نستغني عن هيجل »"[2].

إذا الجدل الماركسي قد أقام أسسه على الجدل الهيجيلي وما الجدل الماركسي إلا محاولة منهم لتطبيقه في ميادين جديدة. وبالتالي أخذ لنين على عاتقه مهمة تطبيق هذا الجدل على الواقع "وعلى عاتق لنين كانت تقع مهمة التطبيق العملي للنظرية الماركسية، وإقامة المجتمع الشيوعي لأول مرة"[3].

اعترف الماركسيون صراحة، بفضل هيجل في ما وصلت إليه النظرية الدياليكتيكية"غير أن اعتراف مؤسسي الماركسية بفضل جدل هيجل لم يرق ـ فيما يبدو ـ لكثير من الماركسيين الغيورين على ماركس...فظهرت تيارات غريبة حاول بعضها أن

[1] يسار سينا، موسوعة الماركسية مفاهيم ومصطلحات، من موقع أرشيف الماركسيين على الأنترنت http://www.marxists.org/arabic/indexhtm

[2] إمام عبد الفتاح إمام، ا لمنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص :291 .

[3] المرجع نفسه، ص: 291 .

يسدل الستار نهائياً على هيجل...«جوزيف ستالين»كان على رأس هذا الفريق الذي حاول أن يطمس المعالم الهيجيلية بأي شكل حتى ولو بالخروج على أبسط حدود الأمانة العلمية. يقول في كتيبه الصغير «إن ماركس وأنجلز يشيران عادة إلى هيجل حين يعرفان المنهج الجدلي، غير أن ذلك لا يعني قط أن جدل ماركس وإنجلز هو نفسه جدل هيجل فهما لم يقتبسا من جدل هيجل سوى «نواته العقلية» وطرحا غلافه المثالي ثم: و سعاه، وأعطياه طابعاً علمياً حديثاً..» وستالين هنا يحاول أن يهون من شأن التراث الجدلي الهيجيلي"[1].

كان ماركس أحد أعظم أنصار هيجل والجدل الهيجيلي، وما ما ذهب إليه أنصار ماركس وأتباعه في قولهم أن ماركس يعارض المذهب الهيجيلي و ينتقد مبادئه، قول لا يمكن الوثوق به ولا تصديق ما يرمي إليه، وتبقى مجرد محاولات مذهبية لها طموحات و لا تمت بأي صلة إلى ماركس "إذا كنا نعارض تلك المحاولات المذهبية الغربية التي لابد أن ماركس يتبرأ منها...فإننا نعارض معها تلك العبارات المطاطة التي تقول إن الماركسية «تأثرت» بالجدل الهيجيلي، كما تأثرت بمادية فيورباخ، وذلك لسببين: الأول أن الماركسية لم تتأثر بمنطق هيجل، وإنما نقلت عنه نصاً وروحاً، دون أن تضيف للجدل الهيجيلي، إضافة واحدة...ثانياً: لأن الأثر الهيجيلي على الماركسية...وبصفة عامة لا يمكن أن يوضع في صف واحد مع أي أثر آخر...إن مايميز الماركسية أساسا عن غبرها من الفلسفات المادية السابقة هو إضافتها الجدل الهيجيلي إلى المفهوم المادي عن الطبيعة والعالم...زمن هنا قال إنجلز بحق«إن الدراسات الشاملة التي قام بها هيجل، وتجميعه العقلي للعلوم الطبيعية، هو عمل أعظم بكثير جدا من كل السخافات المادية المجتمعة"[2].

يتفق ماركس وهيجل في المذهب وفي المنهج ولكن يختلفان في التصور الفلسفي للعالم والكون، وهذا ما يعترف به ماركس صراحة إذ يقول في عبارة شهيرة له "لقد كان الجدل الهيجيلي يقف على رأسه..»، «فجعلنا الرأس إلى أعلى، أو بتعبير أدق أقمناه على قدميه...»...وهي أيضا العبارة التي إستنتج منها غيره أن هناك ما يمكن تسميته «بالجدل الماركسي»الذي يخالف إلى حد كبير الجدل الهيجيلي الذي كان يقف على رأسه...إن النقطة

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص: 292 .
[2] المرجع نفسه، ص: 299 .

الخلاف الرئيسية بين هيجل وماركس تكمن أساسا في تصور كل منهما للكون أو بدقة أكثر في تحديد كل منهما للعلاقة بين الفكر و الوجود، وأيهما يسبق الآخر منطقيًا...ونقطة الخلاف هذه لا تمس المنهج...فأياً ما كان تصورهما الفلسفي عن العالم فهما متفقان...فهيجل كان يؤمن مع ماركس بأن المنهج الوحيد الذي ينبغي على الفلسفة أن تأخذ به هو المنهج الجدلي الهيجيلي"[1].

بالإضافة إلى فيورباخ، و ماركس، و الماركسيون ككل، هناك دلتاي من الفلاسفة الذين تبنو الجدل بعد هيجل حتى الفترة المعاصرة، إذ يقول دلتاي ناقدا الجدل لدى هيجل وحتى لدى الفلاسفة الذين سبقوا هيجل، "(دخل ديالكتيك لا يستكين من الحدس الفكري لدى فيخته وشيلنج حتى المنهج الديالكتيكي لدى هيجل، وعبثا بحثوا عن طريقة لبناء التطابق بين التماسك المنطقي وطبيعة الأشياء، بين العلاقة في داخل الوعي والعلاقة الموجودة في داخل العالم) و (عبثًاً يبحث المنهج عن درب يؤدي الى التعرف في الإرتباطات الموجودة داخل الوعي الإرتباط الموجود داخل الواقع ذاته)"[2].

كما لا يمكن أن نغفل عن الفيلسوف المعاصر جون ديوي الذي وجه نقداً لاذعاً للمنهج الديالكتيكي.

[1] إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، المرجع السابق، ص :302 ، 301.
[2] برتران سان سرنان، العقل في القرن العشرين، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2000، ص :66.

الخاتمة

لقد عرف مفهوم الديالكتيك، عبرالعصور الفكرية و الفلسفية عدة تطوورات، ساهم في بلورتها فلاسفة و مفكرين منذ نشأته الأولى حتى وصولة إلى المرحلة الأخيرة، فبعد أن كان يقوم في أساسه الكلاسيكي على المتناقضات الفكرية و الآراء المتعارضة، ثم الكشف عن نقاط الضعف لكل واحدة منهما على ضوء الحجج التي تم التسليم بها سابقا.

يدور حول هذه المتناقضات صراع النفي و الإثبات في إطار البحث الجدلي، ثم ينتهي هذا الصراع بإستنباط فكرة جديدة تكون بمثابة، تركيب أوتوفيق بين تلك الفكرتين.

فإننا نجد الديالكتيك عند هيجل يعني فكرتين مميزتين: الاولى الجدل هو خاصية للفكر، ينتقل الفكربواسطتها من فكرة إلى أخرى، أما الفكرة الثانية التي يعنيها هيجل بالديالكتيك؛ فنها تلك الصفة التي تمتاز بها الأشياء.

بفضل هذه الخصائص التي إمتاز بها الجدل، سواء في الفترة الكلاسيكية على يد العديد من المفكرين الذين إهتموا بمفهوم الديالكتيك و كان لهم الصدى الواسع، بحيث إستطاعوا ترسيخ هذه الافكار في فكر "فريدريك هيجل" في الفترة الحديثة، إذ إحتل الجدل على يد هذا الأخير المكانة الفلسفية و الفكرية المرموقة، و اصبحت تمثل توجها قائما بذاته، و كذلك ساهم هذا التوجه في فتح عدة مجالات للمعرفة.

مفهوم الديالكتيك يرتبط إرتباطاً وثيقاً بمفهوم العقل، فهو يعبر عن طبيعة العقل، و التقدم الذي كشف عنه الوعي الحديث، في ميادين متعددة كالتاريخ و السياسة و الدين، و الفن و تاريخ الفلسفة، قد كان للمنهج الديالكتيكي أثراً عليها، و في مجال العلوم القانونية كان للمنهج الديالكتيكي تبلور هذا الأثر في إكتشاف و تفسير بعض النظريات و القوانين العلمية مثل تفسير أصل الدولة و غايتها و أصل القانون و غايته، و كذلك فكرة السلطة و علاقتها بالحرية و تفسير ظاهرة التطور الإجتماعي و أثرها على الدولة، كما أعطى المنهج الديالكتيكي، تفسيرا لظاهرة الثورة و علاقتها بمبدأ الشرعية القانونية،و كذلك في كان لهذا المنهج مساهمة تستحق الذكر في مواضيع هامة، مثل الجدال المطروح اليوم في مسألة الهوية، والمواطنة والحرية، كما إستطاع المنهج الجدلي الخروج بالعديد من

النتائج و الحلول لإشكاليات متعددة مكنت الباحثين و القضاة و المشرّعين القانونيين من تطبيق القانون في الحياة الواقعية، هذا كما لا يمكن إنكارتلك القيمة الفكرية التي إنبثقت عن الفلسفة والتي تقوم على قوانين التضاد و التصارع بين الأفكار و الإختلاف بين الأشياء ثم تؤدي في الأخير إلى ظهور فكرة أو شيء جديد. ...إلخ.

المنهج الجدلي ومن خلال مجمل خصائصه و موضوعاته و ميكانيزماته و قوانينه، يعتبر من أكثر المناهج ملائمتاً للدراسة الفلسفية و السياسية و الثقافية و الإجتماعية، و ذلك يعود إلى طبيعته التي تساعد على التحكم و توجيه تقدم هذه الظواهر التي تربطها علاقة تفاعل، كما يساعد على التنبأ بنهاية و نتيجة هذا التفاعل المنبثق من ذلك التضاد و الإختلاف داخل الأشياء و بين الافكار، و الذي يؤدي دوماً و حتماً إلى ظهور الحقيقة.

يتسم المنهج الديالكتيكي، بأنه يحتوي على العديد من المفاهيم العلمية المتكاملة في بنائه كمنهج للبحث العلمي، و من أهم قواعد هذا المنهج (التغير و التحول و وحدة صراع الأضداد)، و كذلك موضوع النفي و نفي النفي التي تعتبر قوانين هذا المنهج، أما عند هيجل فإنه يتسم بأنهمنهج مثالي معنوي، و ذلك لأن هيجل إستعمله في المجلات المعرفية و الفكرية، و هذا لأن كل من المعرفة و الفكر من خصائصهما التطور و التغير.

وفي الأخير نختم بحثنا هذا ونحن نأمل أن تزول كل النزاعات و الجدالات، وتبقى الإشكالية مفتوحة للنقاش حتى يتسنى للأجيال القادمة البحث فيها.

الملاحق

تحديد المفاهيم:

1ـ **الفكرة الشاملة**: "الفعلBergreifen مشتق منgreifen (تعني حرفيا "يمسك"، "يقبل") و هو يعني يفهم فهما شاملا، بمعنى يشمل، يؤلف و بمعنى يفهم، يدرك، يتصورفي آن معا...يستخدم هيجل بين تركيبات أخرى لgreifen الفعلgreifen uben(يتداخل مع ينتهك، يتجاوز يتخطى، يلتف حول: فالتصور يتجاوز آخره طالما أن تصور ما هو آخر للتصورهو نفسه، موضوع ما، أعني انه هو نفسه تصور...(هيجل) و صل الى إقتناع بان الفلسفة لابد أن تكون تصورية، لا حدسية و لاعاطفية...و الإقتناع بان الفكر التصوري ينبغي له أن يستولي على ثراء التجربة الدينية، أو العاطفية و التجريبية هو دافع مركزي في تحول وجهة نظره عن التصور(أو الفكرة الشاملة) كمعيار"[1].

2ـ التناقض: "الفعل widersprecben يعني حرفيا: يتكلم ضد و الإسم widersprach هما مرادفان دقيقان للفعل 'يناقض' و للتناقض في المنطق معنييان:

1/معنى ضيق عندما تتناقض قضيتان-أو تصوران - أي تناقض الواحدة منهما الاخرى، إذا - وإذا فقط - كانت إحداهما سلبا للأخرى(مثل 'أحمر' و 'غير أحمر').

2/ معنى واسع، تكون فيه القضيتان، أو التصوران يناقض الواحدة منهما الأخرى إذا كان لا يمكن إتفاقهما منطقيا (مثل 'المربع' و 'الدائرة'، أو 'الأحمر' و 'الأزرق').....و في فترة مبكرة من حياته رأى هيجلصراعا بين قانون التناقض و حقائق الدين فهو يذهب في مقاله'روح الديانة المسيحية و مصيرها' (مع الإشارة إلى إفتتاحية إنجيل يوحنا: 'في البدء كان الكلمة، و الكلمة كان عند الله، و كان الله الكلمة، فيه كانت الحياة..') إلى أن كل شيء يعبر عما هو إلهي بلغة الفكر النظري فهو بذلك يكون متناقضا. و ينتهي إلى أن 'ما يكون متناقضا في عالم الموتى ليس هو نفسه متناقضا في عالم الاحياء'... و يحاول إبتكارمنطق يستطيع أن يوفق بين الدين و الحياة، كما يتفق كذلك مع إستبصارات المنطق التقليدي. و فكرة التناقض التي إنتهى إلينا أخيرا هي: أننا نستطيع، مؤقتا، أن نميز بين

[1] ميخائيل أنوود، معجم مصطلحات هيجل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز المصري العربي، د(ط، س)، ص:121،122.

المتناقضات الذاتية، أعني المتناقضات في فكرنا، و بين التناقضات الموضوعية، أعني التناقضات في الأشياء."[2]

3- الفكرة: " Idea مأخوذة من كلمة الفكرة اليونانية التي تعني الصورة، و الشكل، و الهيئة، و الوجه، و المظهر(لشيءما)- فهي كلها ترتبط إرتباطا وثيقا'بالفكرة': و يمكن أن تكون مرادفة 'لفكرة ما'، أو 'تصور ما'، أو 'عملية التصور'، أو 'صورة' أو 'معتقد' او 'خيال' أو 'خطة'(بالمعنى المألوف لهذه الكلمات، و ليس بالمعتى الهيجلي)...ولإستخدام هيجل 'للفكرة' عدة سمات متميزة:

1- فالفكرة ليست ذاتية و لا كائنا ذهنيا...فالفكرة هي التحقق الكامل أو التحقق الفعلي للفكرة الشاملة (و التي هي بدورها ليست كيانا ذهنيا). و من هنا كانت الفكرة حقيقة أو هي الحقيقة.

ليست الفكرة مفارقة ولا منفصلة عن الجزئيات: و إنما هي تتحقق تحققا كاملا في أنواع معينة من الجزئيات.

2- ليست الفكرة 'مثلا أعلى' ينبغي علينا أن نحققه: بل هي موجودة فعلا في الحاضر... و من ثم فإن الفكرة الأولية عند هيجل هي العالم ككل." [3]

---

[2] ميخائيل أنوود، المرجع السابق، ص:131،130.

[3] المرجع نفسه، ص:242،241.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1- هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة و النشرو التوزيع، بيروت، مج1، ط3، سنة: 2007.

2- هيجل، محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة و تاريخها)، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1976.

قائمة المراجع:

1. أحمد فؤاد الأهواني، نوابع الفكر الغربي أفلاطون، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د، س).

2. أحمد أمين- زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ،ط)، سنة: 1935.

3. إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل دراسة لمنطق هيجل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط3، سنة: 2007 .

4. إمام عبد الفتاح إمام، تطور الجدل بعد هيجل جدل الطبيعة، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط3، سنة: 2007.

5. إمام عبد الفتاح إمام، تطور الجدل بعد هيجل جدل الإنسان، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط3، سنة: 2007.

6. اميل برهييه، تاريخ الفلسفة الفلسفة اليونانية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ج1، ط2، سنة:1987.

7. الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،سنة: 1990.

8. بتراند راسل، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، تر: فؤاد زكريا، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، ج2، (د، ط)،سنة: 1993.

09 . عبد الرحمان بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، سنة: 1975.

10. بيرتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج: 2، (د، ط)، سنة: 2010.

11- برتران سان سرنان، العقل في القرن العشرين، تر: فاطمة الجيوش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،(د، ط)، سنة: 2000.

12- بيتر كونزمان وآخرون، أطلس ـ dtv الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، ط2، سنة: 2007.

13- إ.م.بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أروبا، تر: عزت قرني، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة: 1992

14- جون كوتنعهام، العقلانية فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1،سنة: 1997.

15- جيمس فينكيان اليسوعي، أفلاطون سيرته، آثاره و مذهبه الفلسفي، دار المشرق، بيروت، ط1، سنة: 1991.

16- هربرت ماركيوز، العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الإجتماعية، تر: فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي، مصر(د، ط)، سنة: 1970.

17- حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د، ط)، سنة: 1992.

18- حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د، ط)، سنة: 1999.

19

21- حنا ديب، هيجل و فويرباخ، أمواج للطباعة و النشر، بيروت، ط1، سنة: 1994.

22- حسن حنفي، فشته فيلسوف المقاومة، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، (د، ط)، سنة: 2002.

23- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 8(د، ط)، سنة: 1958.

24- يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د ،ط)، سنة: 1993.

25- محمد فتحي عبد الله، الجدل بين أرسطو و كنط، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، سنة: 1995،1415.

26. محمد رجب، ارسطو عبقري الفكر اليوناني، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د(ط، س).

27- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس(575 ق.م) إلى أفلوطين(680 م) و برقلس (475 م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، سنة: 1991.

28- مصطفى النشار، نظرية العلم الارسطية دراسة في منطق المعرفة العلمية عند ارسطو، دار المعارف، القاهرة، ط2، سنة: 1995.

29- عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، (د، ط)، سنة: 1993.

30- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، (د، ط)، سنة: 1979.

31- روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من ارسطو إلى راسل، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، د(ط، س).

قائمة الموسوعات:

1- أندريه لا لاند، موسوعة لا لاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت = باريس، مج: 1، ط2، سنة: 2001 .

3- نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس و أعلام التربية و الطب النفسي والتحليل النفسي، دار الصداقة العربية، بيروت، ج2، ط1، سنة: 2002 .

4- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، سنة: 1984.

قائمة المعاجم:

1- جميل صليبيا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، د(ط، س).

2- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، الاردن، د(ط، س).

3- ميخائيل أنوود، معجم مصطلحات هيجل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز المصري العربي، د(ط، س).

المجلات:

1- اكرام فهمي حسين، منطق الفكرة الشاملة عند هيجل، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، العدد 26،سنة: 2009.

من الأنترنيت:

1. يسار سينا، موسوعة الماركسية مفاهيم ومصطلحات، من موقع أرشيف الماركسيين على الأنترنت. http://www.marxists.org/arabic/indexhtm

الفهرس

شـــكر

إهـــداء

مقـــدمـــة.....أ، ب،ج،د.

الفصـــــــــــــل الأول: الجدل الهيجيلي من الماهية إلى التأصيـل.

المبحث الأول: ماهية الديالكتيك.....5 . 8.

المبحث الثاني: المصدر اليوناني لهيجل في الجدل.....9-27.

المبحث الثالث: مصادر هيجل من الفلسفة الحديثة.....28-37.

الفصـــــــــــــل الثاني: الفكرة المنطقية الجدلية عند هيجل.

المبحث الأول: المنطق الديالكتيكي عند هيجل.....38 . 46.

المبحث الثاني: فكرة التناقض و صراع الأضداد لدى هيجل.....47 . 54.

المبحث الثالث: الديالكتيك بعد هيجل.....55-

الخاتمـــــة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع والمعاجم والموسوعات.